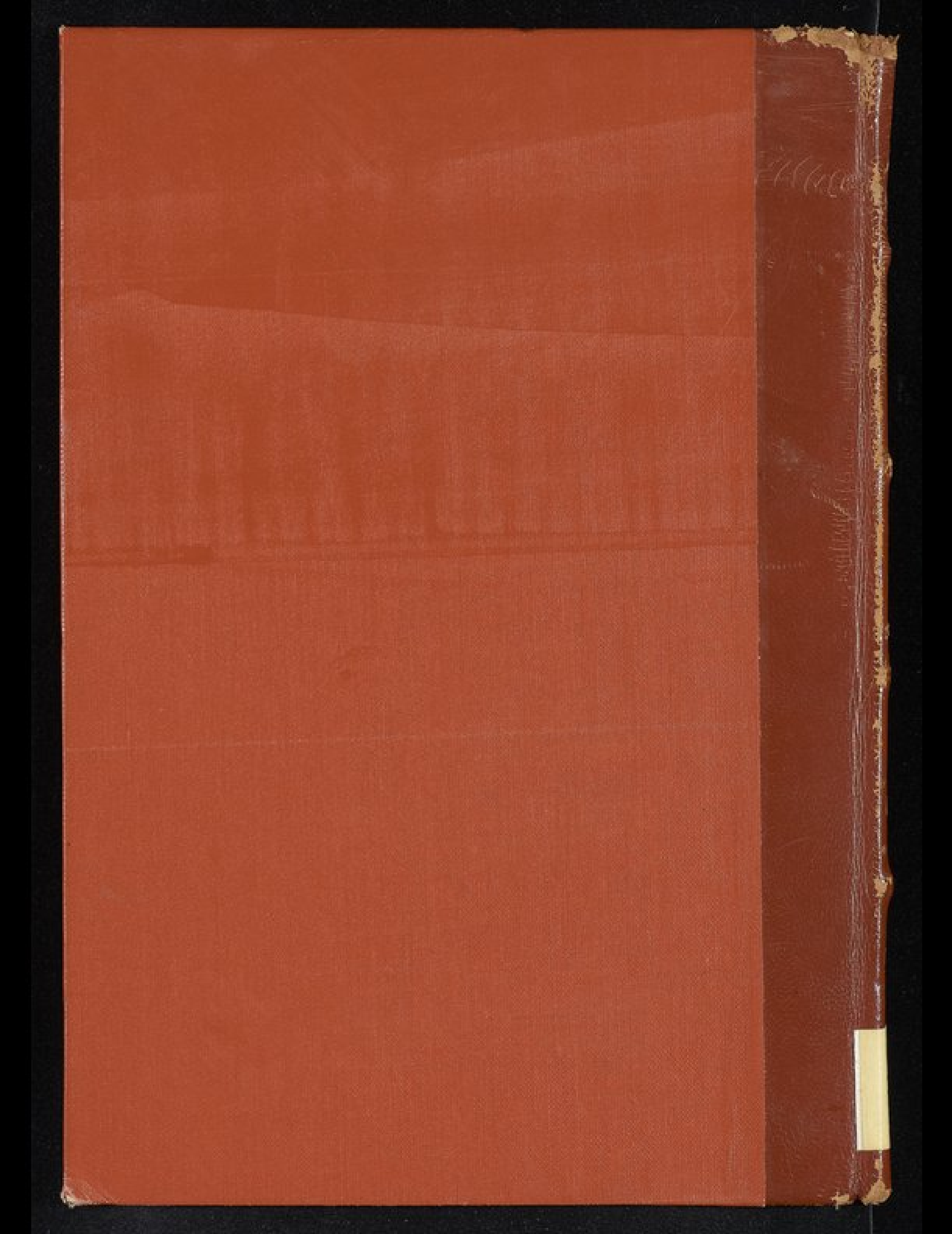
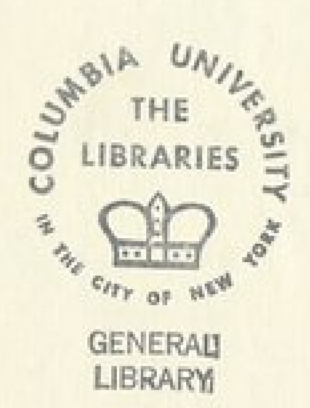
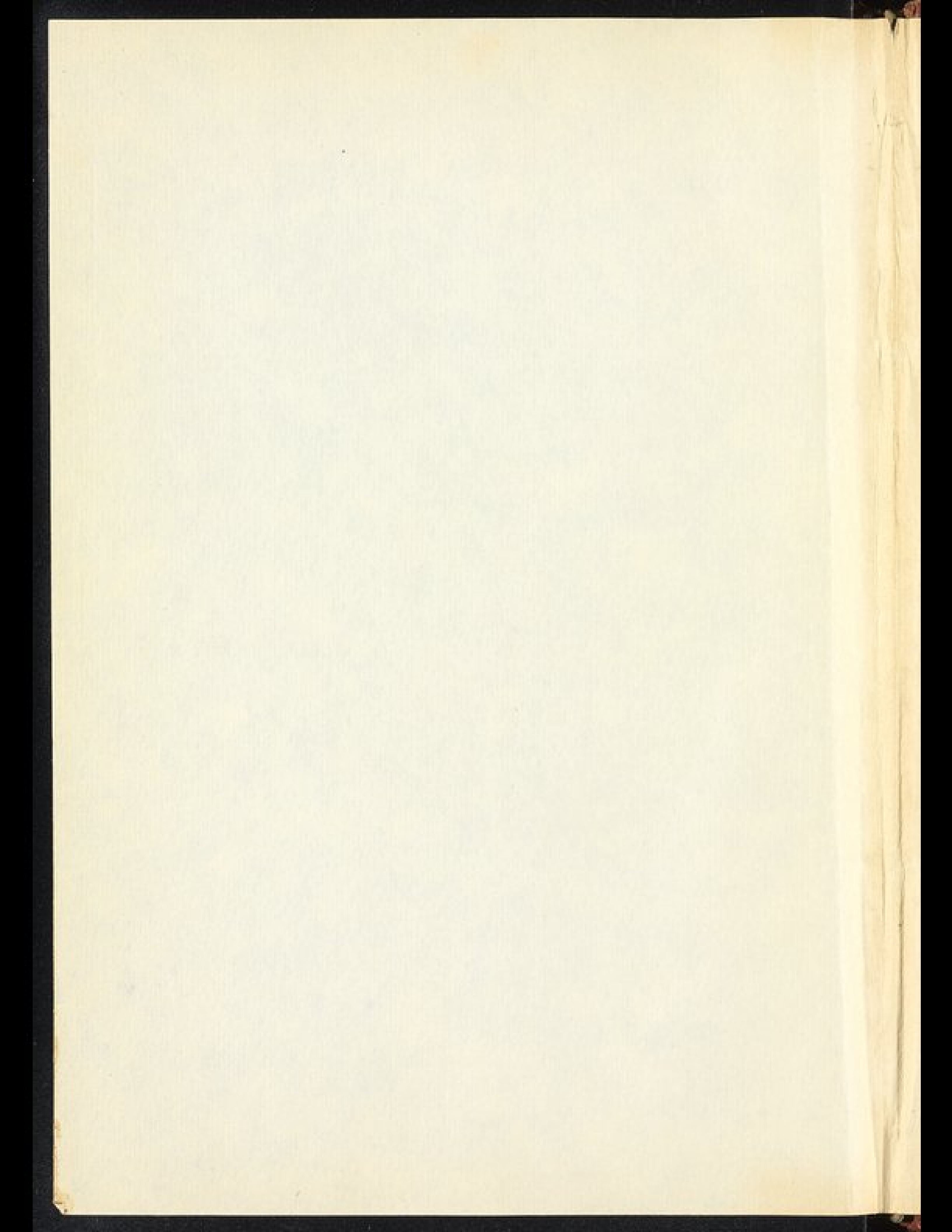
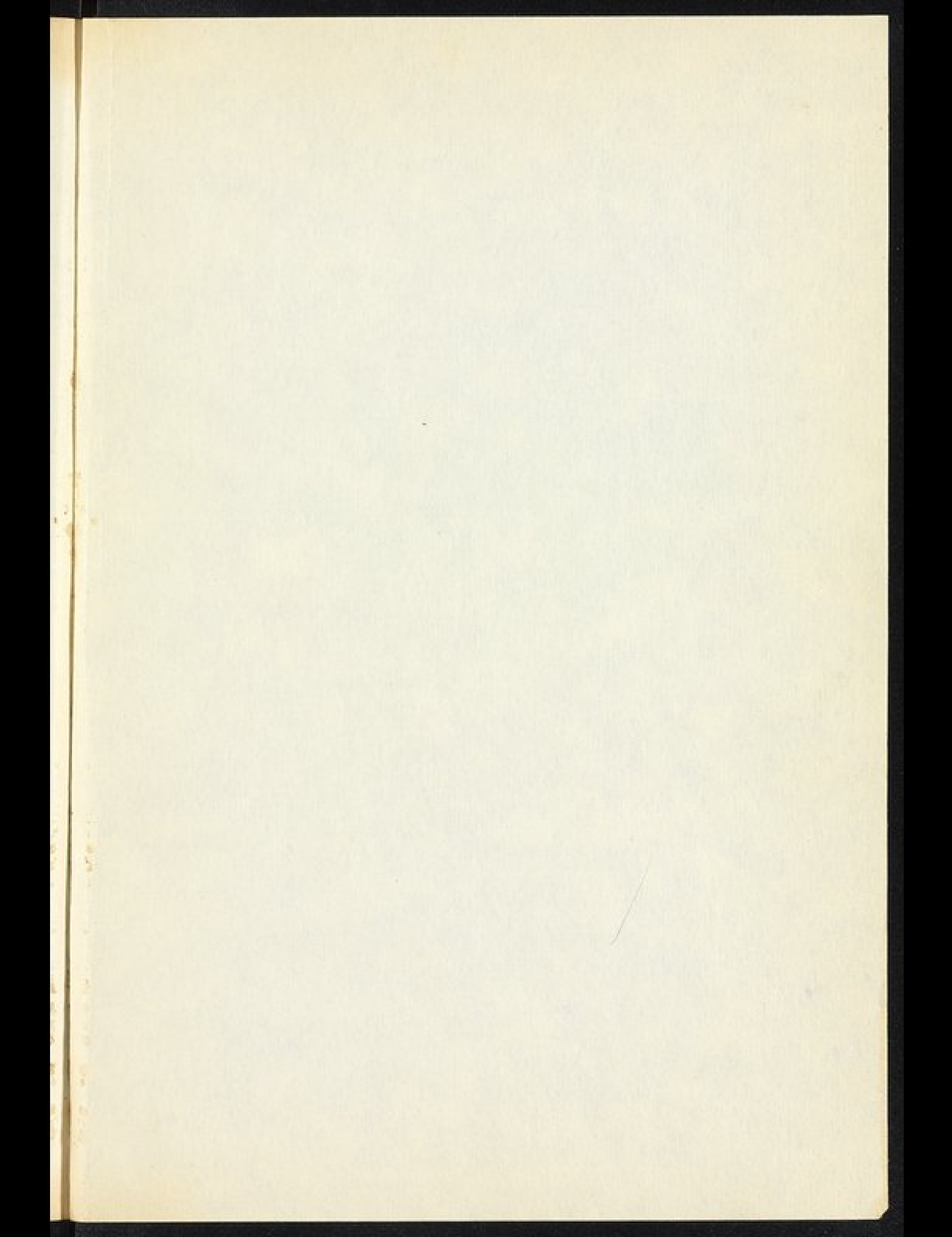








الموسيقى العراقية

في عهد المغول والتركمان

من سنة ٦٥٦ هـ – ١٢٥٨ م
الى سنة ٩٤١ هـ – ١٥٣٤ م

في الموسيقى العربية وبيان ما حدث فيها من تطور
في العراق وذكر العلماء والمؤلفات

والحق به :

١ – كتاب الملاهي للمفضل بن سلمة .
٢ – كتاب اللهو والملاهي – لابن خرداذبة .
٣ – أرجوزة الانغام للبدر الاربلي .

بقلم
المحامي عباس العزاوي

طبع
شركة التجارة والطباعة المحدودة
شارع الملك فيصل الاول – الكرخ – بغداد
١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م

مما يتغنى به

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحبّ بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق لى إلاّ تجشّم هذه السبع الطباق
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين .

المقدمة

كتبت مقالات في الموسيقى العربية أيام المغول والتركمان نشرت في مجلة (العالم الاسلامي) سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م . فرأيت ما يدعو للتوسع ، والغرض تاريخي . والامل أن ينكشف أكثر بأن نقطع بعض مراحله ... فلا تخلو الابحاث من تبصير . وذكرت لها (نظرات سريعة) في العصور السابقة تمهيدا للمعرفة ، وان ينال الموضوع حقه من الاشباع .

اعتمدنا مراجع كثيرة تعرضنا لذكرها أثناء البحث لتقربها من طالبها . ولا شك أن الأمر يحتاج الى ما لا يستغنى عنه . والتوسع تابع للمعرفة العلمية الكاملة . وهذه لا تظهر الا بالالتفات الى مطالب تاريخنا . وقد ضممت كتباً في الموسيقى أعتقد أنها توضح الموضوع أكثر وهي :

١ - كتاب الملاهي . للمفضل بن سلمة .

٢ - كتاب اللهو والملاهي . لابن خرداذبه .

٣ - أرجوزة الانغام . للبدر الاربلي .

هذا . والله ولي الامر .

نظرات سريعة

(في الموسيقى الى آخر العهد العباسي)

١ - الموسيقى في العراق

تجذب الموسيقى بأنغامها ، وتسترعي الاسماع برنات أوتارها ، وجميل ألحانها • تشتاقها النفوس • ونميل اليها بطبعنا ، ونعد التباعد عنها خروجا بالنفس عما تنزع اليه ، أو خلقت لأجله • التفتت الأمم الى تكامل البحث من وجوهه •

رأينا أن نتناول (موسيقى العراق) في أيام (المغول والتركمان) لما فيها من غموض • ورجحنا أن نقدم (نظرة سريعة) فيها حتى أواخر الدولة العباسية • وكان العلماء أشبعوا هذا الفن تمحيصا • وضعوا له قواعد ثابتة من ناحية الصنعة • والميل النفسي أو من جهة اتقان القراءة وتجويدها ، استفادة من الرغبة في التوجيه الحق ، والمضي بالناس نحو المبدأ والتشويق اليه • ولا اخالني مبالغا اذا قلت ان تأثير الموسيقى لا يقل وقعا عن نصائح كثيرين ، وارشادات عديدين ••• والمتصوفة الغلاة اصطادوا الجماهير من طريقها • ادخلوها في الغلو ، لتسهيل أمر ما اعتنقوه من آراء ، أو تشبعوا من فكرات[١] ••• واذا كانت قواعد الموسيقى ترمي الى التدريب على الاخلاق الفاضلة ، والارشاد الى خير المطالب فان الناس لا يسيرون على نهج بعينه • وانما استغلوه للوجهة التهذيبية وعكسها •

والموسيقى قديمة في البشر لا يدرك أولها • وجدت من حين وجدوا• تشير الى قدمها قصص جاءت في التاريخ القديم • تورد كأساطير للدلالة على هذا التقدم • جاءت حكاية يرد (يارد) من أحفاد شيث (ع) مؤيدة لما ذكر • ويرجع اختراعها بالنظر لهذه الحكاية الى ما قبل ادريس ونوح عليهما السلام• و(يرد) هذا حدثت في أيامه الاحداث ، ونقض أولاد شيث (ع) العهد •

(١) الصديق الاستاذ أحمد حامد الصراف من العارفين بالكثير من أحوال الغلاة •

نزلوا من الجبل المقدس الى الارض التى سكنها أولاد قابيل (قايين) • وكان نهاهم من النزول ، فلم يعبأوا بقوله • ويعزى سبب نزولهم الى أن الشيطان أخذ اثنين من أعوانه ، فعلم أحدهما (الغناء) والآخر (الزمر) • وصنع لهما الطنابير والبرابط • وكذا صنع توبلقين (توبال قايين) من ولد قابيل الطبول والدفوف والصنوج • ولم تكن تعرف ، فلعبوا بها • يصيحون ويضحكون••• فلما دنت أصواتهم من أهل ذلك الجبل هبط اليهم منهم مائة رجل • ينظرون ما سبب تلك الأصوات بعد أن ناشدهم (يرد) الله تعالى أن لا يهبطوا ، فعصوه وهبطوا ، نخالطوهم وتزوجوا منهم •

ويرد هذا والد ادريس عليه السلام[١] •

وفى ابن الاثير نقلا عن ابن اسحاق أن أول من ضرب (الونج)[٢] والصنج[٣] توبلين ، وأول من عمل النحاس والحديد توبلقين (توبال قايين) أولاد لامك (لمك) ابن أنوشيل بن حنوخ بن قينان (قايين) وهو قابيل • وفى رواية أهل التوراة أن أول من اتخذ (الملاهى) من ولد قابيل رجل يقال له توبال (توبال) بن قابيل (قايين) • اتخذها فى زمان مهلائيل (والديرد)• اتخذ المزامير، والطنابير والطبول ، والعيدان والمعازف • فانهمك ولد قابيل فى اللهو • وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث ••• وسائر الروايات قريبة من ذلك[٤]•

ومن هذا يتبين أن تاريخ الموسيقى قديم جدا • وتتفاوت الامم فى الاخذ بها بالنظر لحضارتها ورفاهها ورقة شعورها • ولا تخلو أمة منها • وتعد من (الفنون الجميلة) • ومن العلوم الرياضية من أقسام الحكمة • وأصلها فى (العراق) يرجع الى عهد بعيد جدا • قبل العصور الاسلامية بكثير • وان الآثار

---

(١) كتاب الفرق لأبى محمد • مخطوط عندى نسخته •

(٢) الونج محركة ضرب من الاوتار أو العود أو المعزف • القاموس •

(٣) الصنج شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر • وآلة بأوتار يضرب بها • معرب • كذا فى القاموس •

(٤) تاريخ ابن الاثير : الكامل ج١ ص ٢٠ ــ ٢١ •

المكتشفة تعين ما للسومريين والاكديين من موسيقى فى العراق[١] . والفرس جاؤا بعدهم . وهم اقتبسوا ممن قبلهم ، وكانوا أقرب الى عهد العرب المسلمين. وعلاقة العرب بالعراق قديمة جدا ، فلا تنكر صلاتها بالغناء العراقى .

٢ - الموسيقى العربية قبل الاسلام

اشتقت الموسيقى العربية من الشعر والغناء به ، أو أنها ذات علاقة بالتقاطيع الشعرية وأوزان العروض ونبراتها ، وتعد أصل الغناء ، أو أن الغناء ساق الى تقطيع الشعر . اختلفت الانظار في التوجيه . ونرى الامم لم تقطع بأمر . والمشاهد أن الشعر والغناء باتصال غير منفك . وليس الغناء الا امتداد الاصوات وتلحينها من يوم بدأ الشعر ، وعرف البسيط منه . ثم تعددت الاوزان ، وتكاملت ، فتبعها الغناء ، أو صار يتنوع فى أصواته كذلك .

ولم يظهر هذا الا نتيجة تطورات لما لحق الشعر من تحول . ولم ندرك من قديمه إلا الرجز ، وما هو معروف بالحداء والهوسات . تكاثرت بحور الشعر الواحد تلو الآخر ، فصار يتغنى بها تبعا لما تغير به الشعر كما لحقت نغمات أو أصوات بامتداد أو قصر ... ولما لم يبت فى الوضع الاصلى ، ولا يزال غامضاً دخله الاحتمال ، أو تعاورته الآراء المنوعة .

وأولى الآراء ما وافق الواقع فى مختلف العصور والامم . ولا شك انه تدرج من بسيط الشعر الى معقده أو متكامله ، فتبع الغناء ذلك . صارت التقاطيع ، ثم المقابلات بالمتحرك والساكن من (سبب) و(وتد) وجاء علم العروض فثبتها ... كما ان الموسيقى رتبت الاصوات ترتيبا علميا ، ولكنها لا تزال عند العرب تابعة للوجهة العملية أو الغناء المتلقى . وهو محدود طبعاً .

والفتوح العربية فى أول الاسلام لها دخل فى تطور الموسيقى عندنا أكثر،

---

(١) الموسيقى عند السومريين والبابليين والآشوريين تأليف الدكتور گلپن (كمبرج ١٩٣٧) .

Galpin (F.W.), The music of the Sumerians and their immediate successors the Babylonians and Assyrians. (Cambridge 1937).

ولم يغفل علماؤنا البحث فيها الى ظهور الاسلام ، أو ما كان قبيل ظهوره بأمد قصير ...

وصلت الموسيقى الى العراق من جزيرة العرب ، دخلت ، وتمكنت وكانت لا تخلو من اتصال بالامم المجاورة الا انها استفادت من الايرانيين بعض الالحان أكثر ، واستعملت بعض المصطلحات ، نرى ذلك ظاهرا فى شعر الأعشى . وكلامنا فى الغناء الى حين اتصال المسلمين بالأقطار المجاورة .

ابتدأت الموسيقى العربية (بالغناء) . وأقدم أوزانه تقاطيع الشعر ، ثم الحداء والتهليل او ما يسمى بـ (التغبير)[1] ، و(السناد) . وهناك (الهزج) ومنه ما يقال له (العقيرة)[2] ، وهى (غناء النصب) .

ومن مراجعة (كتب اللغة) مثل الصحاح والتاج ، واللسان لا نقطع فى أصل معانى بعض هذه الالفاظ وان كانت كلها عربية . أدى ذلك الى ضياع مدلولاتها ، أو الاختلاف فى مفهومها . دخل المسلمون فى حضارة واسعة النطاق أنست ما تقدمها ففاضت المعرفة الجديدة بسبب الاختلاط . والعرب - فى العراق خاصة - تطورت عندهم الموسيقى بسرعة غير معهودة كسائر العلوم والفنون . تكاد فى فيضها تضارع قوة فتوحهم وسرعتها . أبلغوها غاية عظيمة ، وعرف ما زادوه ، أو ادخلوه من موسيقى الأمم . وهكذا ما كان من مخترعاتهم ، ففاقوا به بحيث صارت شاملة لما عند هذه الأمم .

ومن حسن الحظ أننا وقفنا على (كتاب الملاهى) لأبى طالب المفضل ابن سلمة النحوى اللغوى ، فجاء مبصرا بحل المصطلحات المعروفة ، ومقابلتها ، فكان تحفة . وجدت نسخته فى خزانة سراى طوبقپو باستانبول ، فرأينا شرحها وتقديها فى آخر الكتاب مصححة .

رجعنا الى كتب اللغة والتاريخ ، فلم نعثر على ما يبرد غلة من جراء أن البحوث غير مطردة . ومعلوماتنا كانت قليلة وضعيفة ، وصارت بالنظر الينا

(١) التغبير فى القاموس بمعنى التهليل وترديد الصوت بالقراءة وغيرها . يرغب الناس فيه بالغابرة أى الباقية .

(٢) العقيرة صوت المغنى والباكى والقارىء . القاموس .

أشبه بما يستخرج من الآثار المنقورة على الاحجار ، فحلت هذه النسخة المعضلة نوعا ، وتوضحت العلاقة بالشعر بالرغم من انقراض بعض اوزانه ، وبعض الأصوات الغنائية التابعة لتلك الاوزان •

٣ ــ الموسيقى العربية فى العراق

أيام الفتوح العربية دخلت الموسيقى عندنا فى طور جديد • فان الروم والايرانيين دخلوا الحجاز ومن جراء ذلك حصل الاتصال بغنائهم • لحن العرب بسرعة غناءهم على ما عندنا من شعر ، والانغام الجديدة روعيت فيه • وبذلك تنوع الغناء ، وزاد عما كان عليه ، وظهرت أصوات جديدة •

وفى خلال المدة بين عهد الخلفاء الراشدين وبين أواخر الدولة العباسية حدثت تطورات أخرى تدرجت الموسيقى فيها حتى وصلت الى غاية عظيمة من التوسع ، وأضيفت اليها لواحق مكملة ومتممات زادتها تحسيناً بحيث صارت أصلا للموسيقى الشرقية ، فأخذ بها الايرانيون والترك ، نقلوا من العربية ما كتب من مؤلفات ، وان كانت هذه الامم لا تخلو من موسيقى خاصة بها • وانما اكتسبت موسيقانا وضعا علميا ، ومثلت موسيقى الأمم الشرقية جمعاء • ولسان الامة الاسلامية آنئذ اللغة العربية •

أخذ العرب ألحانا من الامم ، وتنوعت طرقهم فى التجدد ، فنبغ أكابر فى هذا الفن ، فأبدعوا ، وأحدثوا ما يدعو الى الالتفات • وللسيرة العلمية أثر كبير فى التنظيم كما ان الموسيقى اليونانية القديمة دونت فى (كتب الحكمة) ، فصارت ذات علاقة بالموسيقى العربية وانتشرت آثارها •

وكانت الفروق ظاهرة بين الموسيقى الحجازية المقتبسة من العرب أنفسهم وبين الموسيقى العربية التى اتصلت بالأمم الفارسية والرومية • نرى ذلك واضحا فى المخلدات الموسيقية وتتعين بما فى (كتاب الملاهى) ، وفى كتب العهد العباسى •

قال ابن خلدون ان العرب كانوا على البداوة ، وان الاتصال بالفتوح وبحضارات الأمم مما سهل أن تدرج الى أن تكاملت عند العباسيين • فأول

ما سمعوا شعر العرب لحنوه واجادوا فيه . وأول من فعل ذلك الموالى ، فقد ظهر فى المدينة (نشيط الفارسى) ، و(طويس) ، و(سائب الخائر مولى عبدالله ابن جعفر) . فهؤلاء طار لهم ذكر ثم أخذ عنهم (معبد) وطبقته ، (وابن سريج) وانظاره . وما زالت فى طريق تكاملها أيام (ابراهيم بن المهدى) ، و(ابراهيم الموصلى) ، و(ابنه اسحق) ، و(ابنه حماد) ...[1]

وأشهر المؤلفات فى أيام العباسيين :

١ ـ **كتاب اللهو والملاهى** : لابن خرداذبه المتوفى فى حدود سنة ٣٠٠هـ ٩١٢ م . وهذا عزمنا على نشره ملحقاً بهذا الكتاب .

٢ ـ **كتاب النغم** : ليحيى بن على بن يحيى المنجم المتوفى نحو سنة ٣٠٠ هـ ـ ٩١٢ م . نشـــر فى مجلة (المجمع العلمى العراقى) فى الجزء الاول من مجلدها الاول جاء فى ص ١١٤-١٢٤ كتبت عليه تعليقات . ونشر بعد ذلك على حدة .

ومن أهم ما فى الكتاب انه تكلم فى النغم . وصفهـــا وعددها ، وبين ما يأتلف منها وما يختلف ومواقع اصبع اصبع من وتر وتر ، وموضع كل نغمة من كل دستان ، وبين ما سماه اسحاق بن ابراهيم الموصلى بـ(المجرى).. وتكلم فى اختلاف ما بين أصحاب الغناء العربى مثل اسحاق ونظرائه وبين أصحاب الموســيقى القديمة ... واوضح ما يصلح أن يكون طريق الحل لمصطلح الأغانى .

والكتاب نبذة من أصل للمؤلف ، لم يستوعب التمحيص والتحقيق العلمى فى نشره ، بل ظهرت فيه أغلاط . قل الناشر كلمة (بين) فى صفحة ١١٦ زائدة ، والصواب أنها لم تكن زائدة . تكلم هذا الكتاب فى اختلاف ما بين أصحاب الغناء العربى ، وبين أصحاب الموسيقى القديمة . قال :

« واختلاف ما بين أصحاب الغناء العربى مثل اسحاق ونظرائه ممن

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج١ ص ٣٥٧ .

جمع العلم بالصناعة والعمل ، وبين أصحاب الموسيقى (ممن) يزعمون أنها ثماني عشرة (من القدماء ويحتاج الى) شرح بما تجتمع (به) الافكار والافهام ....، اهـ .

فوضعت النقص بين قوسين الا ان لفظ (من القدماء) جاء فى الاصل (ونقدمه) الى آخر ما هنالك . وجاء فى هذا الكتاب (باربد) ص ١١٥ وصوابه (بربط) كما هو معلوم فى المؤلفات العربية . و(ما يلت) فى ص ١٢٠ صوابها (وما تلبث) . ويدخل صوابها (وتدخل) و(عفق) فى ص ١١٥ صوابها (عقف) ويوم بنجشنبه (يوم الخميس) . وحلق فى ص ١١٦ صحيحة وجاء تغليطها غير صواب . وردت فى كتاب الملاهى .

ولم يعثر على النسخة الاصلية ، ولا هى موصولة السند او مقروءة على استاذ عالم بالفن والا فلم تكن بهذا الشكل . وقع الناشر فى أغلاط . ولا نقطع الأمل من الحصول على نسخة منها صحيحة . والمشتبهات الكثيرة فى الكتاب منتشرة .

والتعليقات للناشر قد حل بها المصطلحات بالاستقاء من كتب اللغة ، ومن مفاتيح العلوم . وهذه عرفت بشرح قديم ، ولم يتعرض لما يقابلها اليوم ، ولا رجع الى كتب الموسيقى لبيان ما فى هذه المصطلحات ، ولا اتصل بموسيقارين لادراك النغم وتحديد مقاييسها بالاصابع بالضرب بالعود ، أو بالبيانو ، أو النقر فى الدف ... وهكذا بما يقابلها فى آلات النفخ ، أو نغم الغناء بأصوات المغنين ... وهذا يعلمه أرباب الصنعة ، وعلماء الفن ... فهو علمى صناعى ، ولم يكن كعملنا تاريخياً يقرر المجارى ، ويحقق مؤلفات هذه الصنعة .

٣ ـ كتاب الاغانى : عين المصطلحات ولكنه لم يحلها . ذكرها كشىء معروف والحاجة تدعو الى الحل . ولا نزال فى ريب منه . وان الناشرين تمكنوا من التعليق بما وصل اليهم من مؤلفات لغوية وعلمية وتاريخية ، فكان

العمل ضئيلا • لأن تقدير الصوت بعمل الأصابع بعينه (العود) أو (البيانو) مع معرفة المقامات ومحلها منه • مما يصلح للحل •

ومن المهم بيانه أن ناشر كتاب الاغانى فى طبعة دار الكتب المصرية قد تقرب الى الحل بما وجده فى مجلة (المقتبس) الغراء[1] من بحث (العود ومصطلحاته) فى كتاب (نيل السعود فى ترجمة الوزير داود) بالركون الى طريقة الحل وذلك بالنقل من الاستاذ عبدالقادر المراغى من أشهر أساتذة الموسيقى مبينا أن الالفاظ الاصطلاحية الواردة فى كتاب الاغانى كلها تتعلق بالعود وان تركيب هذه الآلة اذا علم فهمنا ما أشكل من المصطلح • ولا شك أن الامر فى تركيب الآلة لا أعتقد أنه الطريق الوحيد للحل • وانما المهم تقدير الاصوات وتعيين الاصلية منها وما يتولد من علاقة الاصابع بها مع معرفة المقامات الاصلية • كل ذلك وسيلة المعرفة •

والملحوظ أن الاستاذ صالح السعدى شرح ما فى الاغانى من مطالب • ولعل الرسالة المذكورة فى المقتبس من تأليفه • وهذه وان كانت بالنقل من الاستاذ المراغى فان (كتاب فتحية) مأخوذ منه • وان الاشارة الى مؤلفاته تدعو الى أن نراجعها لننظر هذا البحث وما قاله فيه هذا الاستاذ صاحب الفن • ولم يكن هذا المصطلح من نوع اللغات الاثرية، ولا المبهمات المستعصية• فالموسيقى أمرها معلوم • وان دراسة هذه الموسيقى وتحقيق أصواتها يبصرنا بالمصطلح قطعا ، وان العود والبيانو من وسائل التوصل • وجاء فى الرسالة الشرفية تفصيلات مهمة غالب الباحثين أخذوا منها • فهى الاصل والمرجع الجدير بالاخذ •

٤ ـ **رسائل اخوان الصفا** : وهذه تحوى جملة من الموسيقى • ولا تختلف عما جاء عن القدماء على ما جاء فى مؤلفات الفارابى وابن سينا الا أنها جاءت فيها تفسيرات غريبة فى الحروف ، وفى الاساطير الخرافية بنسبة الموسيقى الى أنبياء سابقين ، ودخلت (كتب الفتوة) ، والغرض تبرير عناية

---

(١) المقتبس ج٢ ص ٣٨٥ وج٥ ص ٢٠٨ من مقال للاستاذ الأب انستاس مارى الكرملى •

الباطنية أو المتصوفة بها بتحبيبها للناس ، وأنها من عمل الانبياء المعتبرين . وهكذا حالة (الحروفية) الموافقة لمبدأ هؤلاء من أن الألف تدل على كذا ، والحروف الاخرى على دلالات غيرها . وكلها رموز وطلسمات . ومثل ذلك اشتقاق الموسيقى من (ياموسى اسق) باختصار هذه اللفظة .

وتأثير اخوان الصفاء على العقلية العلمية بادخال الخرافات مشهود . ولعلنا نعود الى بيان هذه النواحي عند الكلام على بعض كتب الموسيقى . والتأثر بهؤلاء الاخوان شمل علوماً جمة ، فلم يسلم منهم علم الا تدخلوا فيه من طريقه ، وأبدوا آراءهم ، وعينوا خرافاتهم وأساطيرهم ...

والكتاب مطبوع ، فلا نتوغل في وصف موسيقاه الا أننا نقول مثلت الفلسفة الافلاطونية الحديثة وموسيقاها .

٥ ـ **رسالة الكندي في الموسيقى :** والكتاب من أقدم ما كتب في الموسيقى . ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية . واحياء مثل هذه الآثار يبصر بوضعها التاريخي .

٦ ـ **احصاء العلوم للفارابي :** وهو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ ابن طرخان الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م. وفيه فصل مهم في الموسيقى طبع سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م . بتصحيح من الاستاذ عثمان محمد أمين ليسانسية في الفلسفة والآداب ، وعضو بعثة الجامعة المصرية بجامعة باريس . صدره بمقدمة وعلق عليه ووقف على طبعه . وبحث الموسيقى منه في ص ٤٧ وما بعدها .

٧ ـ **صناعة علم الموسيقى :** للفارابي أيضا . منه نسخة خطية مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥١٢ قسم الفنون الجميلة وفي خزانة كوبريلي برقم ٩٥٣ . وجاء تعريف هذه الصناعة نقلا عن هذا الكتاب في ص ٤٧ من احصاء العلوم . وهو موجود ، ويستحق الطبع . وحاجتنا عظيمة لاحياء هذه الصناعة .

٨ ـ **رسالة الموسيقى :** لابن سينا المتوفى في شهر رمضان سنة

٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م وهذه الرسالة لم يراجع لتصحيحها أثناء طبعها . طبعت هذه الرسالة في برلين سنة ١٩٣١ م . نشرها الاستاذ محمود الحفنى . وأصلها نسخة أكسفورد . ونرى في هذه الطبعة عناية زائدة . تمثل الموسيقى القديمة . وفيها ما يوضح ما أغفله صاحب كتاب النغم .

وطبعت في دار المعارف العثمانية في حيدر اباد دكن من الهند سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م بين مجموع رسائل ابن سينا وفيها أغلاط مثل شامرود وصوابها (شاهرود) . وبين الطبعتين اختلاف ظاهر ففي النسخة الاولى ورد لفظ (بريط) وصوابها (بربط) بباء بعد الراء . وقد روجعت الترجمة فوجد أنه غلط مطبعي . وفي الهندية ورد ذلك صحيحا . ويقال (بربد) . وجاء في كتاب النغم (باربد) . وبين النسختين اختلاف في النصوص ففي الاولى ما لا يوجد في الثانية . وهكذا في الثانية ما لا يوجد في الاولى . طبعتا ولم يدر الواحد بطبعة الآخر ، ولكن نسخة برلين واضحة الحروف ، موزعة الاقسام في عناوينها ، فهي أكثر اتقانا . وقد بذل ناشرها في تصحيحها جهدا كبيرا . ونسخة الهند جاء انها كثيرة التحريف والتصحيف والاغلاط ، قالوا : « لم نظفر بنسخة صحيحة نعتمد عليها في التصحيح » . اهـ وان لتنبيه ناشر نسخة برلين بأنها (من جملة كتاب النجاة) أحسن توجيه . والظاهر أنها ملحقة به ولم تكن من صلب المتن .

٩ - **موسيقى الشفاء** : لابن سينا أيضا . بحث موسع . والكتاب طبعت بعض أقسامه في ايران . وعندي مجلدات عديدة مخطوطة منه .

وهناك مؤلفات في الموسيقى لم نتمكن من العثور عليها . ولعل الايام تكشف الا أننا رأينا المؤلفات المهمة في آخر العهد العباسي قد أدركت العهد المغولي . ولا شك أن العهد الاسلامي بين الخلفاء الراشدين وبين آخر خليفة عباسي ظهر أكابر في الموسيقى كما ظهر آخرون في الغناء مما أكسبها منزلة بين الامم . لحد أن الخلفاء الامويين والعباسيين أغرقوا في الانهماك مما دعا ابن خلدون أن يقول :

« أمعنوا فى اللهو واللعب، واتخذوا آلات الرقص فى الملبس، والقضبان، والاشعار التى يترنم بها عليه ، وجعل صنفا وحده ، واتخـــذت آلات أخرى للرقص تسمى بـ (الكرج) ، وهى تمثيل خيل مسرجة من الخشب ، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ، ويحاكين بها امتطاء الخيل ، فيكرون ويفرون ، ويثاقفون ••• وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والاعراس ، وأيام الاعياد ، ومجالس الفراغ واللهو ••• وكثر ذلك ببغداد ، وأمصار العراق ، وانتشر منها الى غيرها ••• » اهـ[١]

وقد خلد القوم آثارا مهمة ، كما أنهم بحثوا فى أطوارها وما حصل فيها من تكمل • أطنب فى ذلك صاحب (مسالك الأبصار) ، ومؤرخون عديدون فى بيان من ظهر من موسيقارين ومغنين ، ومن غنى من الخلفـــاء ، وذكروا شهيرات المغنيات ، والآداب الغنائية • وكأن القوم مالوا بكليتهم للتوسع والتوغل لما رأوا من الخلفاء من البذل وقد قيل فى المثل (اللها تفتح اللهى) • والمناصرة للعلوم والفنون كانت من أكبر وسائل التكامل •••

ولا تنس أن القوم انهمكوا فى الموسيقى وسائر الملاهى فكانت من الاسباب القوية فى ضياع الدولة العباسية أو تضعضع أركانها ، وتسليمها الى من استبد بها • أغرق الخلفاء بالملذات ، وانغمسوا فى الهوى والشهوات وأهملوا ادارة الملك • ومن أعظم ذلك الغناء والمغنيات ، والطرب وصنوفه ••• فكان من عوامل الدمار الحقيقية • صاروا لا يجدون وقتا للالتفات الى مهمات الامور ، ومراقبة الحوادث ، أو الاتصال الدائم فى الادارة • فتبعهم رجال الدولة وسائر أفراد الامة • ونتائج هذا أدى الى ما هو مدون فى بطون التواريخ • سجلت ما وقع • يدل على ذلك كثرة الجوق ممن كان مع صفى‌الدين الأرموى وصار تابعا له على ما يأتى • ومن جهة أخرى ان الانهماك فى السياسة ولد الحرص والاستبداد والتدخل القاسى المضر • ومهما يكن فان الاهتمام بالموسيقى ومناصرة أساتذتها ،

---

(١) ابن خلدون تاريخ العبر ج١ ص ٣٥٧ •

والبذل للمغنيات والمغنين وللاساتذة ساق الى التكامل فى الفن بحيث صارت موسيقانا أساسا للموسيقى الشرقية ...

سارت الموسيقى فى طريقها متأخرة عن شيوع المقامات . ولا يصح بوجه أن تعد هذه الموسيقى (فارسية) ، كما لا يصح أن تعد (يونانية) بسبب ما أخذ من أساليب أو مصطلحات لتقوية الناحية الفنية من جراء شيوع الفلسفة . وانما تعصب الفلاسفة عندنا الى الموسيقى اليونانية مثل ابن سينا والفارابى ، لكنها لم تلق نجاحا . وتعند هؤلاء بحيث لم يذكروا نوابغ الموسيقى عندنا كما تصلبوا فى الفلسفة . وتمثلت الموسيقى اليونانية برسالة ابن سيناء وبما ذكره الفارابى . وأما ايران فانها أخذت الموسيقى العربية عينا بلا تحوير . نقلتها الى لغتها . ولم تكن لها موسيقى بالمعنى الفنى المراد . وغاية ما هنالك كان لتلاحق الافكار قيمة فى تكامل الفن وضروبه .

تعهد العرب اخصاب تربة الموسيقى وأن تنال نصيبها من التطور والتكامل، وان الامم الشرقية رأت نفسها فى حاجة شديدة الى الاقتباس منها فكانت عالة عليها . ولا يضر ذلك بعد أن كانت اللغة العربية لسان الأمة الاسلامية .

دخلت بعض الالحان أو النغم ، واستخدمت بعض الآلات . وهذا نمو فى الثقافة . والموسيقى قديمة جدا قبل ايران واليونان . أثبتت الآثار انها فى العراق أقدم بكثير من هذه الأمم .

نعم تباعد العرب كثيراً عن ألحان البادية وأهازيجها وحدائها ، وتنوعوا فى ضروب جديدة مختلفة اقتضتها حضارة العرب ، ولكنها لم تخرج عن الصبغة العربية ، والادب العربى كما أن الشعر العربى لم يتجاوز عربيته وان كانت الحضارة بدلت من معانيه ، وغيرت فى افكاراته او ابتكاراته . ولا ينكر التأثر ، كما لا يغفل التأثير . وهذا لم تسلم منه أمة ولا مملكة .

والعرب خلدت آثارهم فى الموسيقى مكانة سامية بين الاقوام . أدوا خدمة كبيرة فى ترتيل القرآن الكريم ، وصار من أكبر ما تميل اليه النفوس

للتوافق بين ألفاظه المنسقة (نظمه المعجز) ، وبين النغمة الموسيقية والاتصال الوثيق بها ، فكأنه فى انتظار هذا التطبيق ليظهر الاعجاز أعظم ، فيدخل المعنى فى ذهن السامع بسهولة • وبذلك تكملت بلاغته بالالتفات الى اطراد نغمته الموسيقية وتتفاوت منزلة القراء فى درجة اتقان هذه الانغام •

ويتلخص لنا من (كتب الموسيقى) ومن كتاب (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) انها :

١ ـ عمليـــــة :

خاصة (بالغناء) وتعين صنوف الالحان فى نغمها وايقاعها وتظهر بطبيعتها أو بالصناعة بواسطة الآلات • والالحان تعينهـــا النغمات وأحوالها • وتدور هذه على الاصوات وتأثيرها فى النفس بترتيب • والصوت يجرى من الالحان مجرى الحروف من الكلمات •

وبسائط الاصوات ١٧ نغمة ، وأدوارها ٨٤ اختار الفرس منها ١٢ دورا لقبولها البردات (البرده) • واسماؤها :

١ ـ العشـــاق •
٢ ـ النوى •
٣ ـ بوســليك •
٤ ـ راســت •
٥ ـ عراقى •
٦ ـ أصـــفهان •
٧ ـ كجـــك •
٨ ـ بزرك •
٩ ـ زنكولة •
١٠ ـ راهوى ويقال أصله (رهاوى) •
١١ ـ حسينى •
١٢ ـ حجـــازى •

وأتبعوها بـ (٦) أدوار ، لقبولها (الاوازات) وهي :

١ ـ شـــهناز ،

٢ ـ مائه ، مأى ،

٣ ـ مســلمك ،

٤ ـ نوروز ،

٥ ـ كردانيـــة ،

٦ ـ كوشـــت ،

والعرب كانت تنسب النغمات الى شدود العود لشهرته ، وفي كتـــاب (الملاهي) ذكر ذلك ، كما أن صفي‌الدين الارموي فصل الادوار ،

وأما الايقاع فانه اعتبار زمن الصوت ، وأدوار الايقاعات عنـــد العرب ســـتة :

١ ـ الثقيل الاول ،

٢ ـ الثقيل الثاني ،

٣ ـ الماخوري ،

٤ ـ الرمـــــل ،

٥ ـ خفيفـــه ،

٦ ـ الهـــزج ،

والفرس تقتصر على أربعة أضرب :

١ ـ ضرب الاصل ، قريب من الثقيل الاول ،

٢ ـ المخمس ، يقرب من الماخوري ،

٣ ـ التركي ،

٤ ـ الفاختي ، وهذا من الفروع ،

٢ ـ علميـــــة :

تعد من العلوم الرياضية ، وتفصيلها في كتاب أبي نصر الفارابي ورسالة الموسيقى لابن سينا ، وموسيقى الشفاء المحتوى على ما في كتـــاب أبي نصر

وزيادة • وكتاب النغم ليحيى بن على المنجم • ومر ذكره • وكتاب النغم لثابت ابن قرة الصابى (مختصر) • ولم نعثر على نسخته • وآخر من كتب فى العهد العباسى صفى الدين الارموى • وله كتاب الادوار • مختصر لطيف • يأتى الكلام عليه[1] •

وآلات الموسيقى المعروفة الى آخر العهد العباسى :

١ ـ الصنج •
٢ ـ البربط • العود •
٣ ـ الطنبور •
٤ ـ الشاهرود •
٥ ـ المزمار •
٦ ـ القانون •
٧ ـ الكوس •
٨ ـ الطبل •

ولا يهمنا تعداد آلات الموسيقى جميعها وسيرد فى كتاب الملاهى ما كان معروفا منها عند العرب ومثله فى كتاب اللهو والملاهى لابن خرداذبه • وانما المقصود ذكر أشهر ما كان مستعملا فى العهد العباسى منها • ورأينا فى كشف الظنون جملة وافرة منها[2] • وكذا فى كتاب الشفاء لابن سينا مع أننا لا نرى فى رسالة الموسيقى لابن سينا الا القليل •

وهذه الآلات جاء تصويرها فى بعض الكتب فى (مجالس اللهو) • ولا تختلف أوضاعها اليوم عما كانت عليه فى العهود العباسية الا من ناحية الزينة والاتقان فى الفن أو التعديل القليل •

---

(١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد • طبعة سنة ١٣٢٢ هـ ببيروت • وعندى نسخ مخطوطة منه • وكتاب احصاء العلوم ص ٤٧ طبعة مصر سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م وغيرهما •

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١٣٧ الطبعة القديمة باستانبول •

وغالبها معروف قديما . دخلت العناية الزائدة فيها ، وتبدلت أسماؤها ، عربت ، أو عرفت بأسماء عربية . ولعل الاتصال بايران سبق ، فانتقلت الاسماء منها قبل سواها من الاقوام . ولا نستطيع أن نعد أقدم من استخدمها من الامم. ولا شك أن نسبتها الى اقدم من عهد نوح(ع) يدل على أن لا مجال لافتخار أمة بها ، أو أن الآخذ لا يعرف تاريخه . وجاءت الحفريات مبصرة بهذا القدم ، وتدل على أن العراق عرف بها قبل غيره من الاقطار .

ونقل صاحب (مسالك الابصار) أخبار أرباب الموسيقى ممن نال منزلة معروفة في هذه العهود في الغناء أو في العلم . وفيه ثروة عظيمة في الخدمة الفنية . ولا نريد التوغل . وقصدنا أن نمهد السبيل للكلام في عهد المغول والتركمان . ولعل في هذا كفاية لمبتغى المعرفة التاريخية .

الموسيقى العربية في العراق

(في عهد المغول والتركمان)

من سنة ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م
الى سنة ٩٤١ هـ ــ ١٥٣٤ م

ان موسيقانا متصلة مباشرة بعهد المغول ، ولم تكن هناك فاصلة . كان آخر الموسيقارين ببغداد صفي‌الدين الارموي . فهو استاذ العهدين . ونال المكانة فيهما . ومن‌المغنيات في‌بغداد (لحاظ) مغنية الخليفة المستعصم بالله العباسي، و(صبا) وكانت من أجمل المغنيات . ذهب بها صفي‌الدين الى هولاكو بثلاثة جوق موسيقى ، فضرب له بالعود فأكرمه .

جاء المغول بموسيقى خاصة بهم . ولهم آلات تختلف بأسمائها . نريد أن نعلم محلها من موسيقانا ، وما عمله رجالنا في تطبيقها ، أو أن نعرف أثرها وتأثيرها . وندرك تاريخ موسيقى العراق والتركمان الى أن دخل العثمانيون

بغداد وما كان لها من موقع ممتاز وكيف سهل المغول انتشارها ، وبالتعبير الاولى نحاول أن نعلم ما جرى .

نعلم أن المغول دخلوا العراق ، فاستولوا على بغداد يوم الاثنين ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م . وفي تجارب السلف أن الخليفة المستعصم قتل ٤ صفر وذكر بيتين للخواجة الطوسى . وفي السلوك قتل في ٦ صفر . وبدخولهم ناصروا العلوم الفلكية ، والطبية وعلوما أخرى تتعلق بالاعمال اليومية ... فهل كانت لهم موسيقى خاصة بهم ؟ وما كان وضعها من الموسيقى العربية في العراق ؟ وهل هناك جهة ارتباط ؟ وكيف كانت الموسيقى في هذا العهد ؟ ومن هم الموسيقارون المشهورون في العراق آنئذ ؟

مثل هذه الاسئلة ترد الى الخاطر . يستطلع المرء ، أو يحاول ما يستدعى الاجابة عليها وعلى غيرها ... ودخول المغول معروف ، ومثلهم التركمان ، ولكن لا تزال المباحث في الموسيقى غامضة ، لا نجدها مجموعة ... وكلما توغلنا ظهرت آثار جديدة ، وعرفنا موسيقارين آخرين ، وهكذا لم نجد من أفرد هذه المباحث وخصها بالذكر ، وانما رأينا في الأيام الاخيرة موسيقارا شهيرا ، وعالما فاضلا تكلم في الموسيقى وتاريخها عند الترك . أعنى به الاستاذ (رؤوف يكتا) ، فانه لم يجعل موضوعه مقصوراً على الموسيقى عند المغول وفي أيامهم خاصة ، وانما نشر مقالة نفيسة ومهمة في المجلد الخامس من دائرة المعارف الموسيقية بباريس لسنة ١٩٣٢ م في ١٢٠ صفحة بين فيها (تاريخ الموسيقى التركية) فأجاد كل الاجادة ، ونالت الرغبة الكبيرة ، وحصل على الاطراء العظيم من أحد الاساتذة المشاهير في الجامعة التركية بأنقرة واستانبول أعنى به الاستاذ (فؤاد الكوبريلى) من نوابغ الترك وأعاظم علمائهم [١] .

---

(١) تركيات مجموعەسی ج١ ص ٢٩٦ .

والاستاذ (رؤوف يكتا) لم يقف عند ذلك . وانما كتب مقالات متوالية في الموسيقى التركية القديمة ، واختصر في القول . لم يجد ما يوسع به مباحثه أو يضيفه لما عرف . فكانت مطالبه محدودة[١] ... ذلك ما دعا أن نتعرض للبيان من الموسيقى في العراق ايام المغول والتركمان ، وعلاقة هؤلاء بالموسيقى العراقية ، ونفسر هذه المطالب ببيان مكانتها في الانحاء التي انتشروا فيها . ولا يهمنا التعرض الى ما تطورت اليه الموسيقى ، أو كانت عليه في الاناضول كما تعرض الاستاذ رؤوف يكتا ... وانما نذكر ما له علاقة بتاريخنا .

وهنا في مباحثنا هذه نراعي نفس المؤلفات والتعريف بها من جهة ، والنصوص التاريخية عن أكابر الموسيقارين في العراق . ومن ثم يتعين أن وجهة نظرنا تختلف عما حاول ايضاحه الاستاذ التركي . انكشفت لنا نواحي الصلات ، والآثار الخالدة ، والاساتذة وعلاقتهم بالاقطار مما هو خارج عن نطاق موضوعه ...

ونحن يهمنا أن نبرز للملأ ما كان خفي من أمر الموسيقى ، وبقي مهملا مدة ... ولا نترك المقابلات والمقارنات بل نتعقب ما فات بسهولة ... فلا نقتصر على ما يخص المغول وحدهم . وانما نريد أن نعين ما عندنا بكافة صفحاته . أدرك موسيقارونا وضع الموسيقى المغولية من حين دخولها ، ودونوا عن مصطلحاتها ، فلم يبق خفاء .

١ـ نوابغ الموسيقى في عهد المغول

لا يظهر أثر الموسيقى تاماً إلا برجالها والقائمين بها في هذه العصور ، وانما نريد أن نعلم مكانتهم التاريخية ، وأثرهم في المحيط ، وما عملوه في خدمة هذا الفن وتقدمه ... ومن ثم تتعين قيمة الموسيقى واضحة لا غبار عليها ، والا

---

(١) ملى تتبعلر مجموعه‌سى ج ١ و٢ .

فلا يصح أن نعتبر الموسيقى وحدها أصلا ، وانما نرى العلاقة بالاشخاص غير منقطعة • والصلة ظاهرة ••• ذلك ما اضطرنا أن ندون عن المشاهير ، ونبين تراجمهم ••• ولم تكن الحالة كما هو الشأن في العمارات والريازات والنقوش المختلفة مما لم نجد لاصحابها آثارا علمية تعين نهجهم سوى ما أبرزته الصناعة، وقدمته من أثر جليل ••• والموسيقى العراقية حصلنا على تراجم عديدين من نوابغها قدر ما سمحت الوثائق وان كان المغنون لم يدون عنهم ما يفي وكفى أن نعلم عن الاساتذة ، ونحارير العلم والغناء • والامل قوي في أن تظهر وثائق جديدة ، فيتحقق الوضع التاريخي كاملا لا نقص فيه •••

١ ـ صفي الدين الأرموي :

نابغة الموسيقى بلا منازع في أواخر الدولة العباسية ، وأيام المغول ••• بلغ في الموسيقى غايته • أكسبه التحقيق والوثوق العلمي والتجارب العمليـة تقدما ، واتقاناً ورأى مناصرة كبيرة • وكان ضبط الالحان والانغام على الآلات وبدونها ، فهو موسيقار العهدين ، ونابغة الدولتين أعني عبدالمؤمن بن يوسف ابن فاخر الارموي البغدادي • لم يزاحمه في عصره مزاحم ، ولا اكتسب شهرته أخلافه وان كانوا مهروا في الفن ، وحصلوا على منزلة رفيعة ••• فلم يصلوا الى درجته ••• كان أرضى المغول ، وأدرك نهجهم في الموسيقى • نبه الى نواحي رغبتهم وما يميلون اليه من أنواع الموسيقى المعروفة عند العرب • ولم يعدها صنفا جديدا ، ولا اعتبرها ضربا خارجا عن ضروب الفن عند العرب وانما تمكن أن يبرهن أن الموسيقى العربية شاملة ، وما عند غير العرب صنف من صنوفها ، أو ضرب من ضروبها ، ويصح أن تدخل ضمنها رغبات الاقوام بالنظر لنفسياتها ••• أبدى مهارة وقدرة فنية فائقة فكان أستاذ الكل ، وقوله الفصل فيما أوحى اليه العلم والفن ••• وهـذا لا يمنع أن تكون موسـيقى الاقوام مستقلة • لا علاقة لها بالعرب والعراق • وانما جاءتهم من المغول الا أنها لم تخرج عما هو موجود من ضروب الالحان •

والرجل لا يصح أن يقال انه أستاذ كامل فى هذا الفن وحده ، وانما هو أديب بارع ، وخطاط شهير ، وعالم معروف ... فكأنه جمع الكمال فى الفنون الرفيعة ، كان نابغة الفنون ، ورجل الصنائع النفيسة ، وجماع الآداب فى الدولتين العباسية والمغولية ...

ولا نخالنا مبالغين فى مزاياه بل يوضح مكانته تاريخ موسيقى العصر وفى جميع العهود التالية وفى الاقطار الاسلامية . وترجمته باستنطاق مؤرخين عديدين كفيلة بالمراد . حياة حافلة بتقدم هذا الفن الجليل الجميل . تصلح أن تكشف اللثام عن العهدين ، وترفع رأس العراق عاليا فى هذا الفن الرفيع عند المغول كما هو عند العباسيين مما يحمل على القول بأن العراق لا يقصر فى ثقافة وآداب فيما لو أفسح له المجال لاظهار رغباته فى العلوم والآداب ، أو الفن مهما اختلفت الضروب ، وتنوعت الألوان .

راجعت أوثق المراجع وأقدمها ، وأولى العارفين به ، ونفس آثاره الخالدة . واذا كنت لا أقدر قيمة الموسيقى الفنية ، وضروب الانغام والالحان . فالذى يهمنى (الوضع التاريخى) ، و(المدونات العلمية) فيه . وأترك تحليل الناحية الفنية لرجالها ، وأن أسمع أقوال رجال الصناعة وأهل المعرفة ... فالكشف عن مخبآت العصور ، وما كان عليه العراق فى تلك الادوار من مواهب علمية وصناعية يدعو الى اثارة ما هنالك مما بقى فى زوايا الاهمال ...

كنت ذكرت ترجمته نقلا عن جماعة من المؤرخين بتلخيص[١] ، وانى مورد هنا ما وصل الى من نصوص أخرى ، قال فى المنهل الصافى[٢] :

« الامام العالم المجود الاستاذ صفى الدين عبدالمؤمن ، امام أهل عصره فى ضرب العود والموسيقى .

قال العز الاربلى الطبيب : كان كثير الفضائل ، يعرف علوما كثيرة ، منها العربية ، ونظم الشعر ، والانشاء وكان فيه عناية فى علم التاريخ ، والخلاف ،

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ٣٦١ .
(٢) مخطوط ، لابن تغرى بردى فى مكتبة نور عثمانية باستانبول .

والموسيقى ، ولم يكن فى زمانه من يكتب الخط المنسوب سوى الشيخ زكى الدين عبدالله بن حبيب الكاتب لا غير وهو بعده . فاق فى فنه الاوائل والاواخر ، وبه تقدم عند الخليفة . كانت آدابه كثيرة ، وحرمته وافرة ، وأخلاقه حسنة طيبـــة .

ثم قال بعد كلام كثير : اجتمعت به بمدينة تبريز فى سنة ٦٨٩ هـ وأخبرنى فقال : وردت بغداد صبيا ، وأثبت فقيهـا بالمستنصرية واشتغلت بالمحاضرات والآداب العربية ، وتجويد الخط ، فبلغت منه غاية ليس فوقها غاية ، ثم اشتغلت بضرب العود ، فكانت بليتى فيـه أعظم من الخط لكننى اشتهرت بالخط ، ولم أعرف بغيره فى ذلك الوقت . ثم ان الخلافة وصلت الى المستعصم فعمر خزانتى كتب متقابلتين برواق عزيز ، وأمر أن يختار لهما كاتبان يكتبان ما يجده . ولم يكن فى ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكى الدين(١) ، وكنت دونه فى الشهرة فرتبنا فى ذلك ، ولم يعلم الخليفة اننى أحسن الضرب بالعود ، وكانت ببغداد مغنية تعرف بـ (لحاظ) فائقة الجمال . تغنى جيدا ، فأحبها الخليفة ، وأجزل لها العطاء فكثر خدامها وجواريها وأملاكها ، فاتفق أنها غنت يوما بين يدى الخليفة بلحن طيب غريب فسألها عنه فقالت هـذا لصفى الدين الموجود ، فقال الخليفة علىّ به فأحضرت وضربت بالعود بين يديه ، فأحبه ذلك ، وأمرنى بملازمة مجلسه ، ورسم لى برزق وافر جزيل ، غـير ما كان ينعم به على ، وصرت أسفر بين يديه ، وأقضى للناس عنده حوائج كثيرة ، وكان لى مرتب فى الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار ، وأحصل فى قضاء أشغال الناس مثلهـا وأكثر منها . وحضرت بين يدى هلاكو وغنيته ، فأضعف ما كان لى من الرواتب أيام المستعصم ، واتصلت بخدمة الصاحب علاء الدين عطا ملك وأخيه شمس الدين ووليت لهما (كتابة الانشاء) ببغداد ، ورفعانى الى رتبة المنادمة ، وضاعفا على الانعام ، وبعد موت علاء الدين ، وقتل شمس الدين(٢) زالت سعادتى وتقهقرت

---

(١) زكى الدين عبدالله بن حبيب من أساتذة الخط . توفى سنة ٦٨٣هـ .

(٢) عطا ملك ولى بغداد . وشمس الدين أخوه ولى ديوان الممالك . وفي تاريخ العراق تفصيل عنهما .

الى وراء في عمري ورزقي وعيشي ، وعلتني الديون وصار لي أولاد وأولاد أولاد ، وكبرت سني وعجزت عن السعي • انتهى

وقال الشريف صفي‌الدين ابن الطقطقي : مات صفي‌الدين عبدالمؤمن محبوسا على دين كان لمجدالدين عبدالكريم غلام ابن الصباغ ، وكان مبلغ الدين ثلثمائة دينار •

وكانت وفاته يوم الاربعاء تام عشري صفر سنة ٦٩٣ هـ ، وكان ينفق أمواله على الملاذ ، ويبالغ في عمل الحضرات البديعة ، وكان ثمن الشموم والفاكهة أربعة آلاف درهم ، وكان يتنعم كثيراً • انتهى[١] •

قلت (صاحب المنهل الصافي) : وهو الاستاذ المعروف ، صاحب الادوار في صناعة الطبقة والطنين وضرب العود وعمله ، وهو صاحب التصانيف البارعة في الموسيقى ، وبه يضرب المثل في هذا الشأن •••

وكان قدم الى دمشق صحبة الوزير عطا ملك بتجمل زائد ، وثروة كبيرة ، ورأى صفي‌الدين في هذا الفن من الحظ ما لم يره غيره بعد اسحاق ابن ابراهيم الموصلي نديم الرشيد هارون الا أن صفي‌الدين هذا كان سيء التدبير ومسرفا في الاموال ، متلافا ، وذكره الشهاب محمود وأثنى على فضله وكثرة علومه ورئاسته واتصاله بالخلفاء والملوك ، وأثبت شيئاً من انشائه ونظمه وتاريخه• وترجمته في فوات الوفيات[٢] ، وكتب تاريخية عديدة ، والرجل عمر كثيراً ، ولد نحو سنة ٦١٣ هـ ، والمعلوم أنه بعد أن أتقن علوما كثيرة ألف كتاب الادوار ومنه أقدم نسخة مؤرخة سنة ٦٣٣ هـ •برع في الخط وعرف به ، ونبغ في الموسيقى ، واتصل بالخليفة بواسطة (لحاظ) المغنية •••

قال في حبيب السير : كان ماهرا في الادوار ، ولما استولى هلاكو على بغداد خرج اليه ودخل عليه فأعجبته مهارته في ضرب العود ، فكانت عقاره وأمواله مستثناة من النهب والغارة[٣] •••

---

(١) الاحكام السلطانية ص ٢٨٨ • وهو كتاب الفخري •
(٢) فوات الوفيات ج٢ ص ٢٣ •
(٣) حبيب السير •

وقال صاحب المسالك :

• مؤلف ضروب أشتات ، ومصنف نوب يجمع عليها شتات • خدم الخلافة زمنا ، وأخذ الدنيا لانفاسه ثمنا ، وبلغ من علم الموسيقى مبلغا ضم له ضمن لحده سابب ، وحاق به لاسحاق أن يظهر المعايب ••• وأعفى فى واقعة هولاكو بما منح من حسن التدبير ، وثمن اللفظ بالمقادير •••

ونقل عن الدهلى أنه ورد بغداد فى زمن المستعصم أبى أحمد[1] ونزل فى رباط ابن النيار وكتب له مصحفا بخط منسوب ، ووصل الى المستعصم ، فتعرف اليه به ، وجعل من ملازمى الباب • يكتب المصاحف ، ويعمم أولاد المستعصم • ثم بلغ عنده ما لم ينله أحد من المقربين • ونقل عن (ابن سيدانا اليهودى) كاتبه وكان مقصوده منه أن يعينه فى الحساب • ولم يلزم بيده دينارا ولا درهما ذكر أنه كان خرجه فى سنة (ثلثمائة الف دينار عوال) • وكانت له معرفة بسائر العلوم تغلب عليه (الحكميات والرياضيات) • وبلغ من الموسيقى ما لم يبلغه أحد من المتأخرين ، وصنف فى عملياته كثيرا • حفظ له الناس ١٣٠ (نوبة) متداولة • وصنف كتابين فى علم الموسيقى أحدهما (الشرفية) ، والكتاب الآخر (الادوار) • وله النظم الرائق ، والخط الفائق • وكان مليح الشكل ، عذب الاخلاق ، ذا مروءة وكرم نفس ••• كتب عليه ياقوت المستعصمى ، وابن السهروردى ، واشتغل عليه فى الموسيقى جماعة من الاعيان الى أن قال :

فوض اليه هلاكو نظر الاوقاف بجميع العراق وصدورها • ثم توصل الخواجة نصير الدين الطوسى بالجوينيين وابتاع منه صدرية الوقف بسبعين ألف دينار رائجا • وبان على الائمة وأهل الاوقاف فقده لانه كان محسنا اليهم بخلاف من ولى بعده •

ومن شعره :

لحسنك من كل العيون نصيب
وأنت الى كل القلوب حبيب

---

(١) مر أنه ورد صغيرا •

وأورد له أبياتا أخرى .

وتوفى يوم الاربعاء ٨ صفر سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٤ م وفصل ترجمته عن الذهلى [١] .

واقعة بغداد

وموسيقى الأرموى

قال العز حسن الاربلى فى تاريخه : جلست مع عبدالمؤمن بالمدرسة المستنصرية ، وجرى ذكر واقعة بغداد ، فأخبرنى أن هولاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوى يسارها على أمراء دولته، فقسموها ، وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير ، فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى حصة أمير مقدم عشرة آلاف فارس (نوين) اسمه (بانوانوين) . وكان هولاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويؤسر وينهب مدة ثلاثة أيام ، ولبعضهم يومين ، ولبعضهم يوم واحد على حسب طبقاتهم . فلما دخل الامراء الى بغداد ، فأول درب جاء اليه الدرب الذى أنا ساكنه . وكان قد اجتمع اليه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جوقة من أعيان المغانى من ذوى المال والجمال ، فوقف (بانوانوين) على باب الدرب وهو مديس بالاخشاب والتراب فطوقوا الباب وقالوا افتحوا لنا الباب وادخلوا فى الطاعة ولكم الامان والا حرقنا الباب وقتلناكم . ومعه الزراقون والنجارون وأصحابه بالسلاح .

قال عبدالمؤمن : السمع والطاعة . أنا أخرج اليه . ففتحت الباب ، وخرجت اليه وحدى وعلى أثياب وسخة . وأنا أنتظر الموت ، فقبلت الارض بين يديه ، فقال للترجمان : قل له من أنت ؟ كبير هذا القوم الذى فى الدرب ؟ قلت : نعم ! فقال : اذا أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا . وطلب

(١) ترجمة الدهلى فى منتخب المختار ص٥٧ وتاريخ وفاة الصفى يختلف عما هنا . والدهلى بغدادى . ولعله أصح من غيره .

شيئا كبيرا ، فقبلت الارض مرة ثانية • وقلت كل ما طلب الامير يحضر • وقد صار كل ما فى هذا الدرب بحكمك • فمر جيوشـــك ينهبون باقى الدروب المعينة[1] ، وانزل حتى أضيفك ومن تريد من خواصك ، فأجمع لك كل ما طلبت ، فشاور أصحابه ونزل فى نحو ٣٠ رجلا ، فأتيت به دارى • وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة ، والستور المطرزة بالزركش ، وأحضرت له فى الحال أطعمة قلايا وشوايا وحلو • وأكلت بين يديه شششنى فلما فرغ من الاكل عملت له (مجلسا ملوكيا) ، وأحضرت له الاوانى المذهبة من الزجاج الجلى ، وأوانى فضة فيها شراب مروق • فلما دارت الاقداح وسكر قليلا اخترت (عشر جوق) مغانى كلهم نساء كل جوقة تغنى بملهاة غير ملهاة الاخرى ، وأمرتهم فغنوا كلهم على ساز واحد ، فارتج المجلس ، وطرب ، وانبسطت نفسه ، وضم واحدة من المغنيات أعجبته ، فواقعها فى المجلس ونحن نشاهده • وتم يومه فى غاية الطيبة • فلما كان وقت العصر حضر أصحابه بالنهب والسبايا ، قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أوانى الذهب والفضة ومن النقـد والذهب ، ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كبيرا سوى العليق وهبات العوانية الذين كانوا بين يديه ، واعتذرت من التقصير ، وقلت جاء الامير على غفلة ، لكن غدا ان شاءالله أعمل للامير دعوة أحسن من هذه ، فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من أهل اليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم • هذا الرجل غدا عندى ، وبعد غد ، وكل يوم أريد أضعاف اليوم المتقدم ، فجمعوا لى من بينهم ما يساوى خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشـــــة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الا وقد وافانى ، فرأى ما أذهله •

وجاء فى هذا اليوم ومعه نساؤه ، فقدمت اليه ولنسائه من الذخـــائر والذهب والنقد ما قيمته عشرون ألف دينار •

وقدمت له فى اليوم الثالث لآلىء نفيسة ، وجواهر ثمينة ، وبغلة جليلة بآلات خليفية • فقلت هذه مراكب الخليفة ، وقدمت لجميع من معه • وقلت هذا

---

(١) المعنيـــــة •

الدرب قد صار بحكمك ، فان تصدقت على أهله بأرواحهم • فقال : عرفت ذلك • ومن أول يوم وهبتهم أرواحهم ، وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سبيهم لكن أنت تجهز معي قبل كل شيء الى حضرة القان ، فقد ذكرتك له ، وقدمت له شيئا من المستظرفات التي قدمتها لي ، فأعجبته ، ورسم بحضورك • فخفت على نفسي وعلى أهل الدرب ، وقلت هذا يخرجني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب ، فظهر علي الخوف ، وقلت يا خوند ! هولاكو ملك كبير ، وأنا رجل حقير فاني أخشى منه ومن هيبته • فقال لا تخف ما يصيبك الا الخير • فانه رجل يحب أهل الفضائل • فقلت أنا في ضمانك انه لا يصيبني مكروه • قال : نعم ! فقلت لاهل الدرب هاتوا ما عندكم من النفائس ، فأتوني بكل ما تقدرون عليه من المقتنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة •

وهيأت مأكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا ، وأواني فاخرة كلها من الذهب والفضة المنقوشة • وأخذت معي (ثلاثة جوق) مغاني من أجمل من كان عندي وأتقنهن للضرب ، ولبست بدلة من القماش الخليفتي ، وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة • فلما رآني (بانوانوين) بهذه الحالة قال لي أنت وزير قلت بل أنا مغني الخليفة ونديمه ، لكن لما خفت منك لبست هذه الثياب المقطعة الوسخة • ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتي وأمنت • وهذا الملك هولاكو ملك عظيم ، وهو أعظم من الخليفة فما ينبغي أدخل عليه الا بالحشمة والوقار •

فأعجبه مني هـــذا ، وخرجت معه الى مخيم هولاكو ، فدخل عليه ، وأدخلني معه • وقال لهولاكو : هذا الرجل الذي ذكرته ، وأشار الي • فلما وقعت عين هولاكو علي قبلت الارض ، وجلست على ركبتي كما هو من عادة التتار فقال له (بانوانوين) : هذا كان مغني الخليفة • وقد فعل معي كذا وكذا • وقد أتاك بهدية ، فقال أقيموه ، فأقاموني ، فقبلت الارض مرة ثانية ودعوت له ، وقدمت له ولخواصه الهدايا التي كانت معي • فكلما قدمت شيئا سأل عنه ، ثم يفرقه ، ثم فعل بالمأكول كذلك • ثم قال لي : أنت كنت مغني الخليفة ؟ فقلت :

نعم ! فقال أيش أجود ما تعرف فى علم الطرب فقلت أحسن أغنى غنـاء اذا سمعه الانسان ينام ، فقال فغن لى الساعة حتى أنام ! فندمت وقلت : ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب • وربما قتلنى • ولابد لى من الخلاص منها بحيلة • فقلت يا خوند ! الطرب بأوتار العود لا يطيب الا على شرب الخمر • ولا بأس أن يشرب الملك قدحين ثلاثة حتى يقع الطرب فى موقعه •

فقال أنا مالى فى الخمر رغبة • لانه يشغلنى عن مصالح ملكى • ولقـد أعجبنى من نبيكم تحريمه • ثم شرب ثلاثة أقداح كبار • فلما احمر وجهـه أخذت منه دستورا وغنيته وكان معى مغنية اسمها (صبا) لم يكن فى بغـداد أحسن منها صورة ، ولا أطيب صوتا فأصلحت أنغام العود على انعام ، وضربت جالبة للنوم مع زم رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قـد نعس ، فقطعت الغناء بغتة ، وقويت ضرب الاوتار ، فانتبه ، فقبلت الارض ، وقلت نام الملك ، فقال صدقت • أنمت ، تمن على • فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لى (السميكة) فقال وأى السميكة شى هى ؟! قلت بستان كان للخليفة • فتبسم وقال لاصحابه : هذا مسكين ! بمعنى قصير الهمة • وقال للترجمان لم لا تمنيت قلعة أو مدينة ! ايش هو بستان !؟ فقبلت الارض • وقلت يا ملك هذا البستان يكفى • وأنا ما يجى منى (أن أكون) صاحب قلعة ولا مدينـة • فرسـم لى بالبستان ، وبجميع ما كان لى من المرتب أيام الخليفة ، وزادنى علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب يساوى دينارين ، وكتب لى بذلك (فرمان) مكمل العلائم وخرجت من بين يديه • وأخذ لى (بانوانوين) منه أميرا بخمسين فارسـا ، ومعهم علم أسود هو كان علم هولاكو الخاص به برسم حماية دربى ، فجلس الامير على باب الدرب ، ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب ، فبقى الامر كذلك الى أن رحل هولاكو عن بغداد •

قال الاربلى فسألته ما يأتيك فى السنة من المغارم ؟

قال : أكثر من ستين ألف دينار ذهبا ، أكثرها ممن كان انزوى الى دربى من ذوى اليسار • والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة •

فسألته عن المرتب والبستان ؟ فقال البستان أخذه منى اولاد الخليفة وقالوا هذه ارثنا من أبينا . والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان ستين ألف درهم[١] !

ولعل فى هذا ما يبصر بعلاقة الموسيقى ، ومعرفة درجة حب هولاكو لاهل الفن ، وعلاقة ذلك بواقعة بغداد ، وفيه تكشف صفحة عن حالة بغداد . وما كان فيها من ثراء وأموال ، ونفائس . وكيف حمى الارموى هذا الدرب أو المحلة التى كان يسكنها . ولا شك ان أمر الموسيقى كانت عظيمة الرغبة من الكثيرين بما ذكره الصفى من كثرة الجوق . ولم يعين لنا غير (لحاظ) وقد طوى ذكرها بعد حادث بغداد ، وغير (صبا) ولا ندرى ما كان لها مع هولاكو بعد ذهابها اليه .

عودة الى صفى الدين الأرموى

وكلامنا فى صفى الدين لا يكفى فيه أن تنقل عنه ما نقلنا . وأعظم ترجمة للرجل عمله العلمى والعملى . ومؤلفاته تنبىء عن ذلك وتبين ما يزيد فى اتقانه للصنعة وهذه مؤلفاته :

١) كتاب الأدوار :

أوله : الحمد لله رب العالمين . وقال فى مقدمته : أمرنى من يجب على امتثال أوامره ، والتيمن بالسعى فى مسالك مرامى خواطره ، أن أصنع له مختصرا فى معرفة النغم ، ونسب أبعاده وأدوار الايقاع وأنواعه ... الخ . نال منزلة معتبرة لم يسبق اليها ، وصار من عمدة الكتب فى هذا الفن . انتشر انتشارا هائلا فى الاقطار ، وصار لا يعد من رجال الفن من لم يتقنه اتقانا تاما . شرحه الاستاذ عبدالقادر المراغى ، ونسخه الخطية فى خزائن عديدة ، من أهمها نسخة نور عثمانية برقم ٣٦٥٣ كتبت سنة ٦٣٣ هـ وهى أقدم نسخة . وتعين أنه عمر طويلاً بحيث أتقن وألف مثل هذا الكتاب الجليل . ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم (٣٤٩ ـ فنون جميلة) بخط عبدالكريم ابن السهروردى كتبت سنة ٧٢٧ هـ . وباقى النسخ التى رأيتها لا قيمة لها تاريخية .

---

(١) مسالك الأبصار مخطوط خزانة أيا صوفيا .

ترجمه الى التركية شكرالله بن أحمد الاماسيوى[1] فى أوائل القرن التاسع الهجرى ونشر فى مجلة (شهبال) فى المجلد الاخير . وترجم الى الفارسية بتراجم مختلفة لعديدين ... ومن شروحه (شرح شهاب‌الدين الصيرفى) ، و(شرح لطف الله السمرقندى) مما يعين العلاقة به ويعرف بقيمته العلمية . ترجمه الى الفرنسية البارون ديرلانجه . طبع فى باريس سنة ١٩٣٨ م .

٢) الوسالة الشرفية فى النسب التاليفية :

كتبها لشرف‌الدين هارون الجوينى[2] . نالت رغبة كبيرة وصارت عمدة رجال هذا الفن ، ألفها فى العهد المغولى . والمؤلف فى كتابه (الادوار) مثل العصر العباسى ، وفى هذه أبرز أوضاع هذا العصر . أولها : « أحمد الله على آلائه وأشكره على سوابغ نعمائه » . منها نسخة فى سراى طوبقبو برقم ٣١٣٠ ونسخ أخرى فى دار الكتب المصرية ، وفى مكتبة بايزيد العامة فى استانبول برقم ٤٥٢٤ كتبت سنة ١١٣٩ هـ وفى مكتبة ولى أفندى فى‌استانبول برقم ٢١٦٧ كتبت فى ٢٧ صفر سنة ١١٣٨ هـ ومن أهم هذه النسخ المؤرخة بسنة ٦٧٤ هـ وهى فى‌برلين وتعد أقدم نسخة معاصرة لمن كتبت باسمه وفى‌حياة مؤلفها[3] . قال فى مقدمتها : انها تشتمل على النسب التأليفية على نهج استنبطه القدماء من حكماء اليونان مضافا الى زيادات نافعة لم أجدها فى شىء من مصنفاتهم ، ولا فى شىء من كتب المحدثين من بعدهم ... وذكر أنه خدم بها خزانة الخواجة هارون ابن المولى ... الصاحب الاعظم شمس‌الدين محمد الجوينى ... وفى رسالته هذه أحال الى كتابه الادوار . ونقل فيها عن أبى نصر الفارابى وعن الشيخ الرئيس . وبحثها عن الدساتين موسع . واعتقد أنه طريق حل رموز الاغانى ومصطلحاته . والمراغى أخذ منه البحث المنقول فى نيل السعود . والرسالة الشرفية فيها تفصيلات . نقلها الى الفرنسية البارون ديرلانجه .

---

(١) عثمانلى مؤلفلرى ج٢ ص ٣١١ .
(٢) تاريخ العراق ج١ ص ٣٦٢ وص ٣٣٨ .
(٣) دانشمدان اذربيجان ص ٢٣٦ .

٣) رسـالة الايقاع :

هذه الرسالة فارسية ، على ما جاء في ترجمتها الى التركيـة ، نقلهـا (شكرالله بن أحمد) الذى مر بنا الكلام عليه ، وكان نقل كتاب الادوار الى التركية أيضا ، وهذه النسخة التركية نشرت بعض فصولها في مجلة (شهبال التركية المنتشرة باستانبول[١] .

والملحوظ أن هذه الرسالة نقلت من الفارسية الى اللغة العربية باسم (الدر النقى في علم الموسيقى) ، نقله أحمد بن عبدالرحمن الموصلى[٢] ، منها النسخة المؤرخة سنة ١١٨٦ هـ ، ونعت الصفي‌الارموى بـ (البلخي) ، وهذا ما يؤكد أنه تركى ، وأهل ارمية ترك في الاغلب .

هذا ، وأعتقد أن صفي‌الدين الارموى لم يكتب رسالته هـذه باللغة الفارسية ، وانما كانت باللغة العربية ، ولعل هذه النسخة مقتبسة من الرسالة الشرفية نقلها آخر الى الفارسية ، فظن الناقلون أن الاصل كتب بالفارسية .

وفي دار الكتب المصرية (شرح دائرة الاصل) في الراست ، وهذه منقولة عن المترجم والظاهر أنها أخذت من أحد كتبه أيضا .

ولا نمضى دون أن نذكر أن المترجم أخذ عنه مشاهير في الموسيقى :

١) شمس الدين أحمد السهروردى .

٢) على الستاهى (ستائى) ، وهذا لم تظهر نسبته في نسخة عبدالقادر المراغى .

٣) حسن زامر ، وفي نسخة (حسن زاهر) .

٤) زيتون .

٥) حسام‌الدين قطلغ بوغا .

---

(١) دانشمندان اذربيجان ص ٢٣٦ .

(٢) يأتي الكلام على الدر النقى عند ذكر العهـد العثمـانى ، وجاءت في مخطوطات الموصل ، ومنها نسخة لدى الاستاذ السيد أحمد ناظم العمرى الموصلى ، وعندى نسخة منها .

هؤلاء ذكرهم عبدالقادر المراغي . وكان شغلهم الشاغل في عمليات هذا الفن . أي الجهات التطبيقية في أيام المغول كما كانت (لحاظ) في أيام الخليفة المستعصم ... الا أن نابغة القوم بعد الصفي هو السهروردي ، وهذا لم يقف عند الناحية العملية ، وانما كان استاذا كاملا .

٢ ـ لحاظ المغنيـــة :

هـذه اسمها مقرون باســم صفي‌الدين الارموي . وكانت السبب في الالتفات اليه وان الاستاذ الصفي كان قد عرف بها تعريفا واضحا . قال صاحب المسالك :

« سحرت فقيل لحاظ ، وملأت نفس كل عاشق فغاظ . طالما تجلت فجلت الهموم ، وغنت فقادت القلب المزموم ، وبرزت فتنة للانام ، ومحنـة للمستهام ، الا أنها لو تقدمت زمانا ، كما لو تقدمت افتتانا ، لأرخصت دنانير ، وصرفت عنانا ، وأعربت بما لم تدع لعريب امتنانا . كانت تلازم مجلس الغناء عند الخليفة المستعصم . وكان يعجبه غناؤها .

قال الصفي عبدالمؤمن[1] حدثتني لحـــاظ . قالت : داعبني الخليفـة (المستعصم) يوماً ونحن في خلوة مداعبة . وظننت انه يريد مني بعض الأمر ، فظهر له مني ما يدل على الاجابة ، فتوقر وغضب وقال :

ويلك أظننت أني جاد ؟ وهل ترين الا المزاح ؟ نعوذ بالله من المعصية !!

قال عبدالمؤمن : وكان ببغداد رجل يقال له ابن معمر وكان ناظر ديوان المكوس . كان يسكن الكرخ ، وكان يحمل اليها في كل شهر خمسمائة دينار ، وانطوى ذلك عن الخليفة . ففي بعض الايام حضرت لحاظ على عادتها بين يدي الخليفة مع جماعة من المغنين ، فغنت بأبيات أولها :

ذكر الكرخ نازح الاوطـــــان
فاســتهلت مدامع الاجفـــان

---

(١) ورد عبدالعزيز . ولا شك أنه غلط ناسخ .

فقال بعض الحاضرين من المغنين كيف لا يذكر الكرخ من يصل اليه فى كل شهر خمسمائة دينار ، فسأل الخليفة عن القصة ، فأخبروه بالحال ، فأمر بنفى المغنية ، فنفيت ، وعزل ابن معمر عن ولايته ، وما زالت تستصفى أمواله[1] » .

٣ - زين الدين الموصلى :

هو زين الدين أبو عبدالله الحسين ابن البرهان الحسن بن أبى نصر منصور الدهان الموصلى موسيقار معروف ، أنجبه العراق ، فهو مغن شهير ، وشاعر كبير ، كان معاصرا لصفى الدين الارموى . وترجمته فى مسالك الابصار . أثنى على علمه ، وعلى سعة اطلاعه فى الموسيقى .

قال : « سابق يوم الرهان ، وفائق عرف بكل وردة من الدهان ، تنسب اليه محاسن من الأمور ، وتقسم من زخرف بنائه بالسقف المرفوع والبيت المعمور . تحيى من أنغامه كل ذات كمام ، كأنها زهرة فى دهانه ، وثمرة غريبة من بدائع ألوانه . بالبديع ، أجاد فى نغمه ودهانه فجاء فى كل منهما بالصنع ، وأبدع فيهما فقيل هذى البلابل غنت وهذه المصبغات ألوان فصل الربيع .

وكان عالما فاضلا أديبا ، حسن الاخلاق ، لا يمل جليسه محادثته ، فريد عصره فى صناعة الطرب وعلم الموسيقى . وله فيه مصنف وسمع منه الكمال ابن الفوطى وغيره ...

ومن أصواته :

يا نار أسـود قلبى	ونور أسـود عينى
كن راحمـا لمحب	أباحك الأسودين »اه[2]

وكان قد هجا صدرالدين محمد ابن شيخ الاسلام الهروى قاضى الجانب الغربى من بغداد سنة ٦٧٧ هـ - ١٢٧٩ م بأبيات أوردتها فى التاريخ[3] . وهو علامة من شيوخ ابن الفوطى الا أن شهرة الصفى الأرموى غطت على

(١) مسالك الأبصار . نسخة أيا صوفيا .
(٢) مسالك الابصار .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ٢٩٣ .

غيرها ، لم تزاحمها منزلة ... والعراق أنجب آخرين مثله ، والنصوص التاريخية أبرزت بعض من كان له المقام الممتاز ... الا أن الاتصال العلمي لم يعد يعرف كاملا وبالتفصيل المطلوب ...

توفي المترجم ببغداد يوم الجمعة ١٧ شهر رمضان سنة ٦٨٧ هـ - ١٢٨٨م ودفن بالوردية [١].

٤ - فخر الدين الشهرباني :

هو فخرالدين أبو محمد يوسف بن سعيد بن الحسن بن سيف الشهرباني المطرب كان عارفا بعلم الموسيقى . وفيه يقول نجم‌الدين الحسين ابن احمد بن حماد بن ابى عيسى الشهرباني :

أطيب بنغمة فخرالدين جارية	حذوا مع العود في رفع وفي لين
كأنها وحنين العود يتبعها	محزونة تشتكي أشجان محزون
هو المجيد يغنينا فيسمعنا	طيب الغناء بلحن غير ملحون

ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الالقاب [٢] .

٥ - ياقوت المستعصمي :

جاءت ترجمته في مواطن عديدة . ذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين [٣] . وفي تاريخ الخط العربي في العراق . قال في مسالك الابصار :

« كتب فسلب ، وشعر فخلب ، وغنى فقتل ... وكان في الكنف المستعصمي يرد طرف كل مبهوت ... أخذ الادب والنحو عن نجم‌الدين ابن كبوش . مجيد في الشعر والموسيقى والخط . وله الأدب الكامل ، والنحو المتقن ...» اهـ [٤] .

شعره في تاريخ العراق وفي غيره .

---

(١) مسالك الأبصار . مخطوط اياصوفيا .

(٢) تلخيص معجم الالقاب ج٤ ص٣٦٤-٣٦٥ مصورة مكتبة الآثار القديمة .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص ٣٨٤ .

(٤) مسالك الأبصار . مخطوطة أيا صوفيا .

٦ ـ الشيخ شرف الدين السهروردي :

هو الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان السهروردي كان واعظا ، وله معرفة بالالحان والانغام . ذكره ابن كثير وبين أن له شعراً أورده في تاريخه . توفي في ربيع الآخر سنة ٧٢٩هـ ـ ١٣٢٩م[١] .

٧ ـ بدر الدين الاربلي :

لم تقف جدة الموسيقى ونشاطها أيام المغول عند حد ، وتزايد عدد أساتذتها ونالت عناية عظيمة بتوالي القائمين بها ... ومن هؤلاء بدرالدين أبو المعالي محمد بن علي الخطيب الشافعي ابن أحمد الاربلي ثم الموصلي . كان من أساتذة الموسيقى وأكابر رجالها من أساتذة الداسني على ما نقل صاحب المسالك . ولد سنة ٦٨٦ هـ ـ ١٢٨٧ م[٢] . وكان ذكياً ، سريع الحفظ ، شرح الكافية ، وله حواش على الحاوي ، وعلى التسهيل ، وله نظم ونثر .

ذهب الى مصر رسولا من ملك الموصل فأقام بها خمسين يوماً ، ورجع فأخذ عنه أبو المعالي ابن رافع . ذكره في (ذيل تاريخ بغداد).[٣] . واثنى عليه ... وهو القائل :

وقد شاع عني حب ليلى وانني ـــ كلفت بها شوقا وهمت بها وجدا
ووالله ما حبي لها جاز حده ـــ ولكنها في حسنها جازت الحدا

وترجمته في الدرر الكامنة[٤] . وجاء ذكره مقرونا بحياة الداسني وسيأتي . ولم يتعرض صاحب الدرر لاثره في الموسيقى . ومن مراجعة

---

(١) تاريخ ابن كثير ج١٤ ص ١٥٤ .
(٢) في تاريخ الولادة نظر . وفي كشف الظنون في مادة (التسهيل) ما يدعو الى الشك أكثر بين انه ولد سنة ٧٣٦ هـ وليس بصواب قطعا .
(٣) ذيل تاريخ بغداد هو (المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار) انتخبه التقي الفاسي . وقد طبعناه سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ببغداد باسم (منتخب المختار في علماء بغداد) .
(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥٧ .

ترجمته نعلم أنه أديب عالم ، ولم يذكر انه موسيقار هـذا العصر ، او من مشاهير أساتذته ... عرف بأثره (أرجوزة الانغام) . كان نظمهـا سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٩ م وعني بها عناية زائدة ، أبدع فى صنعها ، قليلة اللفظ ، سهلة الاستظهار ، موجزة ، عدد أبياتها (١٠١) . كنت اشتريت كتابا فوجدتها بين أوراقه ، كتبت بخط سقيم جدا فى ورقتين ، أسطرها متضايقة ... وكأن ناظمها أراد أن تشبع الانغام الموسيقية فأوجزها بهـذه الارجوزة . ونأسف اذ لم نجد ترجمته في ابن رافع ضمن كتاب (منتخب المختار) ... وكانت الانغام والالحان تؤخذ من مؤلفـات الصفى الأرموى ، أو بطريق التلقى العملى ، ومن أفواه الرجال فقرب الأخذ ، وسهل الحفظ ...

جمع بها المهم من هذا الفن اجابة لملتمس ... وأشار الى ما أوضحه المراغى والصيرفى عن الموسيقى عند المغول والترك تحت عنوان (تأثير الانغام فى الامزجة) بأوجز عبارة . وسع الموسـيقارون الآخرون ما أجمله وتوغلوا فى تفصيله عند الترك والمغول ...

وهذه الأرجوزة نشرت باسم (جواهر النظام فى معرفة الانغام) فى مجلة (المشرق)[1] . وتصلح للمقابلة والتصحيح . ففى نسـختنا ما رفع الاشتباه عن كثير مما وقع من الغلط .

وقيمة هذه الأرجوزة تعرف من اهتمام العلماء بها ، ومن شروحهـا (برء الأسقام شرح قصيدة الأنغام) . قال فى مقدمتها :

« هذه كلمات جمعت على قصيدة الشيخ محمد بن على الخطيب الاربلى التى ألفها فى علم الأنغام » اهـ[2] .

هذا وقد كان يتحاشى الكثيرون أن يدونوا عن الموسيقاريين والمغنين ، فلا يذكرون من كان متقناً لهذا الفن لأنهم كانوا يترفعون عن ذلك ...!

---

(١) المشرق ج١٦ ص ٨٩٥ .

(٢) فهرس خزانة برلين عدد ٥٥١٥ ص ٦٢ .

ولا يريدون أن يطربوا به أحدا لأنه يحط من منزلته فى نظرهم ...! ولم يدروا أن هذا الفن يصلح ككثير من العلوم للخير والشر ، وللفائدة والضرر .. للآداب وللخلاعة ...!

٨ ــ الكمال التوريزى :

كان فرد زمانه ... عارفاً بـ (أخبار ملوك البيت) الجنكزخانى (وخصوصاً أولاد هولاكو) ... وأحوال الوزراء ، والخواجكية ، وله مشاركة جيدة فى العلوم العقلية ، ودربة بمخاطبـــة الملوك والامراء والوزراء والخواتين . وكان متقناً للموسيقى علماً وعملاً ، مجيداً فى صناعة الغناء . لا يجارى ولا يبارى .

حكى الخواجا اسماعيل السلامى[1] ان أبا سـعيد كان مغرما بطول المكث فى الحمام والشرب فيه . وجعل له حماماً جدره من الزجاج . وكان يدخل اليه ومعه امرأته بغداد ، و(مشافر) وكان كلفا به ، و(الكمال التوريزى)، ويجلس الجلساء والندماء خارج الحمام ، والسقاء يسقى . فاذا وصل الدور الى الجالسين خارج الحمـــام أخرج (بزكوى) بينهم والمغانى تغنى بالنوبة خارج الحمام . فاذا انتهت النوبة الى الكمال غنى داخل الحمام . وربما غنى أبو سعيد . والكمال لا يغنى . وربما غنيا معا . وذكر أنه استفاد بأبى سعيد وبالامراء والوزراء وأرباب الدولة وسائر الناس لأجله أموالاً جمة جليلة لا تكاد تحصر . وسأله أبو سعيد أن يعلمه الموسيقى فعلمه قدر ما احتمله فهمه . ثم ارواه نهمته من هذا العلم ، وأكثر ملازمة الكمال حتى برع وصار يصنع الاصوات ويعرضها على الكمال ، فتارة يصوب رأيه ، وتارة يصلح له الصوت حتى ندر وأجاد ، وزاد وأحسن .

وكانت أكثر أصوات الكمال فى الأشعار المنظومة باللغة الفارسية . وهكذا كانت غالب أصوات أبى سعيد . وهو الذى استنبط هذا الغناء الذى

---

(١) الخواجه اسماعيل السلامى من تجار العراق . وقام بمهمـات كثيرة بين العراق ومصر . وترجمته فى مسالك الأبصار وفى أعيان العصر والمنهل الصافى وغيرها .

تغنى به اليوم ويسمى (البشرون)[1] • وهو أنغام تطول على مقـــدار بيت الشعر ، وتقبض على وسع عياره فيسد بأنواع من الكلام الملفق الذى لا يحصر بوزن ولا قافية •

قلت (القول لصاحب المسالك) : ولقد حرصت على تخريجه أو مقابلته بتفاعيل يوازن بها فلم أستطع • وسألت عنه الامام حجة العرب أبا عبدالله ابن الصائغ الأموى المروى فقال، لى هذا لا يتخرج ، ولا يوزن الا بالنغم مثل الموشحات اذا كانت غير شعرية • فانها لا تنضبط ، ولا يعرف صحيحها من مكسورها الا اذا غنيت •

قلت (له أيضا) : وهذا الغناء يستلذ فى المشـــارب ، وجانات القصب ، ولأهل مصر به ولوع ، وعليه وقوع • ولا يليق الغناء به فى مجالس الملوك والكبراء • ولم يقع الى من أصواته فى الشعر العربى الا أربعـــة أصوات : فمنها فى شعر التلعفرى :

ما صد جفن العين عن اغماضه　　　الا بريق لاح فى اغماضه

وفى شعر محمد ابن التلمسانى :

صدودك هل له أمد قريب　　　ووصلك هل يكون ولا رقيب

الى آخر ما هنالك •

ومنها فى شـــعر له :

تحكم اذا جاز الجمـــال تحكما　　　فما لمحب منك أن يتظلما

ومنها فى شعر مجهول :

برح السقم بى فليس صحيحا　　　من رأت عينه عيونا مراضا

ان للاعين المراض ســـهاما　　　صيرت أنفس الورى أغراضا

---

(١) لا يزال معروفاً بـ (يشرو) •

قلت (له أيضا) : وقد كان سلطاننا حرص على اشخاصه اليه وطلبه طلب متهافت عليه ، فعزم على قصده . وقدمت مسيرة للسير ، فصده عنها قرارة لحده . (وأورد له ما غنى به ...)

٩ ـ السلطان أبو سعيد :

كان من نوابغ الموسيقى ، يلعب بالعود غاية ما يكون ، ويجيد الضرب به[1] ... وان اتقانه الموسيقى وان كان لم يؤثر على المجتمع مباشرة ولكن الموسيقارين تلقفوا منه الكثير ، واستفادوا من اجادته ضرب العود ... فهو من العارفين المجيدين ... وكانت سوق الغناء في هذه الايام رائجة ... قال الصفدي :

« أجاد الضرب بالعود ، ولعب به ، فكأن يمينه سحابة قهقهت منها الرعود ، وصنف مذاهب في النغم ، ونقلت عنه ، ورواها أولو النغم وتداولوها ، وأصلها منه[2] ... » اهـ .

وترجمته مفصلة في تاريخ العراق[3] .

١٠ ـ شمس الدين السهروردي :

وصلت شهرته الى ما وصل اليه صفي الدين الارموي ، ونال مكانة مهمة جدا وتميز في الموسيقى ، فكان من أكابر أساتذته ... وهو أحمد بن يحيى ابن محمد البكري السهروردي ، الكاتب المشهور . ولد سنة ٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٦ م وتفقه على مذهب الشافعي وأتقن الخط المنسوب والموسيقى ، وكان قد حظى عند الملوك ، وكتب عنه أبو سعيد القاآن ، والوزير غياث الدين محمد ابن فضل الله الخواجة رشيد الدين ، وجمع جم من أولاد الوزراء والقضاة والامراء ... ولم يزل على تقدمه في فنونه الى أن مات في آخر ربيع الاول سنة ٧٤١ هـ ـ ١٣٤٠ م وهو بكري من ذرية شهاب الدين السهروردي ،

---

(١) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص ١٢٢ والدرر الكامنة ج٢ ص ١٣٧ والشذرات ج٦ ص ١١٣ .

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر ج٢ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ٥١٦ : ٥٢١ وغيرها .

وترجمته فى ابن قاضى شـــهبة فى ذيله على تاريخ الذهبى ، والمقريزى فى السلوك ، والعمرى فى مسالك الابصار ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة . وكان رأسا فى الخط والموسيقى ، مؤسس مشيخة[1] فيهما . وقصد من البلاد وكان فى آخر عمره يأنف من الموسيقى ، وقـــد طبقت شهرته البـــلاد[2] .

وزاد صاحب المسالك :

« كان حسن الاخلاق ، كثير الحياء ، ســـديد المقال ، ذا مروءة وفتوة (الى أن قال) وبلغ فى علم الموسيقى وعمله بالغاية القصوى ، واعترف الفضلاء باحرازه قصب السبق . أخذ علمه وعمله عن صفى الدين عبدالمؤمن ، وأجمع الناس على أنه لم يأت بعده مثله . ومنه استفاد البناء ، وبرز عليه فيه ، ووصلت تصانيفه فى الموسيقى شرقا وغربا ... وكان حظيا عند السلطان . وكاتبـه سلطان الهند واليمن غير مرة وجماعة من الكبراء على أن يمضى اليهـــم فلم يفعل ... دفن عند جده ولم يخلف بعده فى سائر البـــلاد مثله فى حسن الخط والموسيقى . » اهـ[3] .

١١ ــ الصـــيرفى :

كان يعد من مشاهير أساتذة الخط وأعاظم رجال الموســـيقى ، وهو شهاب الدين عبدالله الصيرفى . وشهرته فى الخط أكبر ، كان من معاصرى السلطان أويس قبل أن يتولى السلطنة ، وهذا العصر جمع الفضلاء فى الآداب والصناعات الرفيعة ، وكان عهد توســـع الفارســـية وتقويتها فى العراق وايران ... بحيث تمكنت أن تكتفى بمعارفها ...

وكان المترجم أكثر ما يعرف بالخط أخذه عن ياقوت وترجمته فى كتب كثيرة ، توفى سنة ٧٤٢ هـ ــ ١٣٤١ م .

---

(١) مؤسس مشيخة يراد بها ما يسمى اليوم بـ (المدرسة) .

(٢) تاريخ العراق ج٢ ص ٤٠ . والدرر الكامنة ج١ ص ٣٣٥ .

(٣) مسالك الأبصار باختصار .

وللصيرفى (خلاصة الافكار فى معرفة الادوار) وهذا من أشهر مؤلفاته فى الموسيقى . كتبه للسلطان أويس ، على نهج صفى الدين الارموى وخالفه فى بعض المطالب . قال : اعلم ان لكل واحد من هذه الضروب والانغام تأثيرا خاصا ، يبعث فى النفس التذاذا وتذوقا ، ففى العشاق والنوى وبوسليك يجد المرء ما يبعث الشجاعة ، أو يولد القوة ، ويرغب فيه من زاولهما أو اعتادهما ، وأما الراست والعراق والاصبهان والنوروز والمحير والنهفت فانهـا تحرك عاطفة الفرح والسرور ، وتهيج فى الروح الانبساط . وهذه أصول مقتضيات الالحان . وفى الحجاز والحسينى ما يفعل فى النفس الارتياح والفرح ممزوجين بغم ، وضيق صـدر ... أو يؤثر الفتور والكدورة مما يصـلح أن يبعث الامرين ... وقد اختار صاحب الادوار البزرك والكواشت والحجاز ليكون فرحها مشوبا بحزن وألم ... وأما الراهوى والزنكوله وزيرافكند فانهـا محزنة للغاية ... وهذه الادوار قد يحصل من اتصال بعضها ببعض ، أو تمريبها منها ما يقوى الافراط فى الفرح ، أو الاغراق فى الضحك ، أو مـا يدعو للبكاء والاجهاش والعويل فى المحزنات ... ولا يختلف المترجم مع صاحب الادوار الا فى طبقات الحجازى ...

أخذ الصيرفى من معاصريه ، ومن قبلهم فلخص ما هنالك وعين وجهة نظره فى الترجيح ... ومؤلفه خلاصة ما رأى .. فهو فى مقدمة المجددين فى الموسيقى الايرانية بنقل الكتب الفنية العربية اليها ... ومن كتابه هـنـا نسـخة لدى مرزا جـلال الدين همائى الاصفهـانى من مؤرخى ايران المعاصرين[1] ...

والامة الايرانية لها ماض فى الحضارة ، سبقت الاسلام بعصور ، ولكن الفخر فى تدوين الموسيقى كفن كان نصيب الامة العربية ، ولم تلتفت ايران الى الناحية الفنية الا بعد نضج الفنون عند العرب ، وهذا لا يمنـع أن تكون

---

١) تاريخ أدبيات ايران ج١ ص٢١٤ وج٢ ص ٨٨ وهنـاك مباحث فى الموسـيقى .

الموسيقى طبيعية فى الامم الا أن سيرتها عند العرب علمية • اتصل الاقوام بهم من هذا الطريق • كادوا يمثلون ضروبها جميعها لمختلف الامم •••

١٢ ـ نظام‌الدين ابن الحكيم :

استاذ لا يجارى فى الموسيقى ، خلف السهروردى ، وكان أخذ الموسيقى عليه وكذا الخط ويعد من أكابر رجاله ، اكتسب منزلة أذعن له بها العام والخاص • شهد له بها رجال الفن فى مختلف الاقطار ، أخذوا منه الموسيقى كما أخذوا الخط ، وبرع فى التصوير والخرائط •••

ترجمه الصفدى فى أعيان العصر وأعوان النصر فقال :

« يحيى بن نورالدين عبدالرحمن ، الشيخ المحدث ، الكاتب ، المجود ، المحرر ، الموسيقار ، نظام‌الدين ابن النور الحكيم الجعفرى الطيارى البغدادى• كان يكتب طبقة ، ويتقدم بحسن أوضاعه كل من سبقه ، فاذا رأيت خطه فى المهارق ، أنساك سحر الاحداق وزهر الحدائق •••

وله عناية بالحديث ، قرأ بنفسه وأسمع أولاده ، ورحل بهم من أوطانه • كان موسيقارا يتقن اللحون والانغام ، ويعوله فى الصناعة ربها ، ويخضع له ولو انه الضرغام • فاذا أورد لحنا أعرب فيه عن استاذيته ، وفن أهل المغرب بمشرقيته ، وسلب عقولهم بمشرقيته •

ما كان حين يغنى فى مجالسهم   الا نسيم الصبا والقوم أغصان

قدم من العراق الى الشام ، وتوجه الى الديار المصرية ، ثم عاد لعراقه لاجل أملاكه ، توفى سنة ٧٦٠ هـ ـ ١٣٥٩ م ، أو ٧٦١ هـ ـ ١٣٦٠ م ، ورد خبر موته من بغداد •

وكان أولا يكتب الانشاء عن حكام بغداد ، ولما عاد اليها استمر كذلك ، وكانت الكتب ترد عن حكام بغداد الى ديوان الانشاء بخطه ، وكان والده النور حكيما يطب ملوك المغل وغيرهم • وكان نظام‌الدين يكتب المنسوب ، ويصنع الكوفى والمعقلى من أحسن ما يكون وأجوده ، ووضع

أشياء بخطه في بيت القاضي شهاب الدين يحيى ابن القيسراني ، وهي في غاية الاتقان ، وأراني درجا قد كتب فيه منازل الحج من بغداد الى مكة ، وصور ذلك وشجره في خرقة كتان ، وهو من أحسن الاوضاع ، في غاية التحرير والاتقان .

وكان أستاذا في علم الموسيقى ، له فيه أقوال وأعمال ينقلها عنه أرباب هذا الفن في الشام ومصر . وكان اذا خلا بمن أحب من الاكابر اندفع وغنى من غير آلة أشياء غريبة ، سمعته منه غير مرة ، وكان ينظم أيضا ... اه[1] .

فصل ترجمته فأحسن ، ويهمنا بيان أنه من رجال الموسيقى المعروفين ، لا يبارى أخذ عنه أرباب الموسيقى في الاقطار العربية أقواله وأعماله ...

وجاء في المسالك ما فيه سعة أكثر . قال ما ملخصه : أخذ بقلم المنسوب والموسيقى عن السهروردي وأجاد في الموسيقى وبرز فيه . وسمعت من صناعته المطربة ورأيت من تشجيره الفائق ما ملأ العين والاذن ، وسر البصر والسمع . وكان أبو سعيد يرعاه ومثله وزيره محمد ابن الخواجا رشيد الدين . وكان لا يزال يحضر مجلسه وهو من المقربين اليه . وكانت تجيء أخباره أيام موسى القان[2] الملك القائم ، وعلى باشا القائم بدولته . وكان يكرمه ويوفر احترامه له . وكان هو والامير الوزير نجم الدين محمود بن شرفين ، وقاضي القضاة حسام الدين الغوري من خاصة أهل الاصطفاء . فلما دارت على موسى قان وعلى باشا الدائرة ، وطلت دماء . وهما في ثورة تلك الثائرة تسحب الوزير محمود والقاضي وابن الحكيم منهزمين الى أبواب سلطاننا (سلطان مصر) ، فتلقاهم بنعمة ، وتولاهم برحمة ، ورتب لابن الحكيم بدمشق راتب ، وعينت له الربوة وأقام بها ... ثم سافر الى العراق لاستغلال أملاكه فلم يحصل له لاستيلاء الخراب والايدي

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر ج١٢ مكتبة السلطان أحمد الثالث في سراي طوبقبو في استانبول رقم ٣٠١٠ .

(٢) ورد في الاصل القان . وينطق به (قاآن) كما هو المستعمل في أيامنا . وكان قد عرب قديما بلفظ (خاقان) ولم تحدد عندنا الاعلام التاريخية .

العادية عليه الا ما قل ، فعاد كالخائب ، ثم توجه الى مصر وأقام بهـا مدة ، ثم عاد الى العراق .

ومن شـعره :

لكم منى الود الذى ليس يبرح	ولى فيكم الشوق الشديد المبرح
وكم لى من كتب ورسـل اليكم	ولكنهـا عن لوعتى ليس تفصح
وفى القلب ما لا أسـتطيع أبثه	ولست به للكتب والرسـل أنصح
زعمتم بأنى قد سلوت هواكم	لقد كذب الواشى الذى يتنصح[1]

ولا يزال أساتذة كثيرون نشأوا ببغداد لم يعرف عنهم لحد الآن . ولا تزال الايام تميط اللثام عن الواحد تلو الآخر حتى تكونت لنا هـذه المجموعة وان كنا نعتقد بنقصها سواء فى استيعاب حياة مثل هذا الرجل ، أو التقصى فى العثور على رجال العراق الآخرين ، ونأمل أن يتوجـه الاشتغال فى نواحى احياء ذكرى الاسلاف من أمثال هؤلاء النوابغ .

١٣ ـ جمال الدين الداسنى :

كان من أشهر المغنين فى هذه الازمنة وهو عمر بن خضر بن جعفر زادة[2] الكردى الداسـنى ، جمال الدين أبو سـعيد المشرقى ، درس الموسيقى ببغـداد ، ذكره ابن فضل الله العمرى ، وابن خطيب الناصرية فى الدر المنتخب فى تاريخ حلب ، وجاء فى كشف الظنون انه جلال الدين عمر ابن خضر الكردى المتوفى فى حـدود سنة ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٧ م ، وفى تاريخ الوفاة نظر الا أن يكون قد عاش نحو ١٤٠ سنة . جاء فى الدرر الكامنة ان والده كان قد اتصل بهولاكو ، ثم سخط عليه فقتله ، وباع أولاده ، فاشترى الصاحب شرف الدين هارون الجوينى (عمر) هذا وهو صغير جدا ، فان مولده كان فى ليلة الجمعة ٢٥ من شهر رمضان سنة ٦٦١ هـ ـ ١٢٦٣م فاجتهد عمر حتى فاق فى الغناء ثم آل أمره الى أن قدم الشـام فاختص (بتنكز) فقربه ،

---

(١) مسالك الأبصار مخطوط أياصوفيا .

(٢) الدرر الكامنة انه (جعفر زاده) وفيها عوض الداسـنى (الدشتى) . والداسنية اليزيدية نسبة الى جبل داسن ذكره فى معجم البلدان .

وصار يعلم جوارى عنده وكان قبل ذلك اتصل بملوك ماردين ، ثم بصاحب حماة ، وبلغ خبره الناصر ، فاستدعاه وأعطاه خبز حلقته ، ثم رتب له راتبا .

وقال فى مسالك الابصار : انه ابن زادة الديسنى جمال‌الدين أبو سعيد المشرفى ، أبوه كردى وأمه من البيت المودودى . مات أبوه بألموت[1] . أمر هولاكو بصلبه فصلب واشتراه الصاحب شرف‌الدين هارون الجوينى ، فتقرب اليه بالغناء . ومجلسه مأهول برب كل فضيلة . وكان يغشاه من أهل الغناء كشبا (كذا) وزير البرواناه ، وعبدالمؤمن ، والزين ابن البرهان الموصلى ، وحسن الناى ، وسعدالدين السليكو ، والبدر الاربلى ، وأبو بكر التوريزى وكانوا كلهم ائمة فى هذا الشأن . أخذ الجوينى عن هؤلاء . وكان كريما وعرف جيد الغناء من رديئه ، فاجتهد فى الطلب . قال : واجهدت نفسى حتى فقت فى الطرب ثم قدمت هذه البلاد ، ووفدت على حضرة السلطان بمصر ... حتى أصبت فى عينى فى بعض الوقائع ، فرتب السلطان لى مرتبا أقتات به وقنعت بعد الخبز بالفتات .

وروى عن جماعة منهم :

١ ـ حسن الناى (ورد النای) .

٢ ـ السيلكو (ورد السليكو) .

٣ ـ البدر الاربلى . سيد الجنكيين ـ وكان عند المظفر بماردين . وقتله مجيرالدين بن حنبرت . أستاذ ارسلان الدوادار .

٤ ـ التاج الكندى .

٥ ـ الخواجة ابو بكر النوروزى (التوريزى) .

٦ ـ علاءالدين على دهن الحصا .

٧ ـ الكمال يوسف (أخوه) .

---

(١) الموت قلعة كان يتحصن بها حسن الصباح زعيم الاسماعيلية ودامت الى ما بعد انقراضهم سنة ٦٥٥ هـ .

وكان هذان الاخوان كل واحد منهما فريد ومجيد ، وكان يوسف أمير المطربين وكان أخوه على تديم الحضرة • وكانا عند لؤلؤ صاحب الموصل الى آخرين منهـــم تقىالدين بيّاع الدقيق ، وكمالالدين الدويك ، والخواجة صدرالدين القشوانى[١] •

ومن تصانيفه :

١ ـ (الكنز المطلوب فى علم الدوائر والضروب) : أجاد فى تأليفه ، ومن علم علاقته بالجوينى لا يستبعد مهارته فى الموسيقى مع العلم أن الجوينى كتب له الصفى الارموى (الرسالة الشرفية) • فالمترجم ممن تلقى الموســـيقى على أكابر الاســـاتذة[٢] •

١٤ ـ الكمال ابن البرهان الصوفى :

هو كمالالدين محمد بن البرهان الصوفى الموصلى الاصل البغدادى ، كان من أهل الاقدار • ذكره النظام بالاعظام ، وأشار اليه فى علم الموسيقى، وقال : له اليد الطولى فى معرفته ، وبلغ منه مبلغا يقصر عن وصفه • وذكر انه يصحب أقضى القضاة ابن السباك • وله به اعتلاق أكيد فى اعتلاء ما عليه لمثله مزيد[٣] •

هذا • وابن السباك جاء ذكره فى منتخب المختار •

١٥ ـ السلطان أحمد الجلائرى :

أحد سلاطين العراق ، كانت له اليد الطولى فى المو‌ســـيقى ، يجيد فى تأديتها اجادة بالغة الغاية[٤] ••• فهو من أصحاب المعرفة فى هذا الفن وفى فنون جميلة أخرى ، ولا يعد من الاساتذة الا انه ممن يؤخـــذ عنه ، وكان الاستاذ عبدالقادر المراغى من ندمائه كما انه كان من ندماء أخيه قبله •••

---

(١) مسالك الأبصار مخطوط أياصوفيا •
(٢) الدرر الكامنة ج٣ ص ١٦٤ وكشف الظنون •
(٣) مسالك الأبصار • مخطوط أيا صوفيا •
(٤) المنهل الصافى •

ومن المهم أن نعرف عمن أخذ الجلائرى الموسيقى ، وأساتذة الموسيقى فى أيامه غير المراغى ... وسنتعرض لهم .

ترجمة السلطان أحمد فى تاريخ العراق[1] ... وبه ختم عهد الموسيقى فى أيام الجلائرية . وهم مغول حكموا بعد الايلخانية . وانتهى هذا العهد بسنة ٨١٣ هـ — ١٤١٠ م ويتخلله عهد (التيموريين) أو (آل تيمور) . ويمتد الى ما بعدهم بكثير . وفى أيام السلطان أحمد من الموسيقارين الخواجة عبدالقادر المراغى ، ورضىالدين رضوان شاه . ويأتى الكلام عليهم .

٢ — اصل الموسيقى

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م
الى سنة ٨١٣ هـ — ١٤١٠ م

١ — الموسيقى العربية :

ذكرنا المخلفات فيها . ونالت عناية كبيرة من الايلخانيين أيام هولاكو ، وأخلافه لا سيما فى زمن أبى سعيد ، وفى عهد الجلائرية من السلطان أويس فمن بعده حتى أواخر سلطنة أحمد الجلائرى . ظهرت فيها مؤلفات عديدة ، ونالت رعاية .

ترجع فى أصلها الى العهد العباسى الاخير . وركنها الركين مؤلفات الصفى الارموى ، نالت شهرة تليق بها . وان هذا الاستاذ ترك أخلافا لا يستهان بهم . وبه وبأمثاله مثلت الموسيقى العربية جميع الانغام الشرقية وضروبها .

٢ — الموسيقى المغولية :

هذه دخلت العراق بدخول هولاكو ، لكنها لم تتغلب بل ذابت فى الموسيقى العراقية . وما ذلك الا أن المغول تأثروا بالادب الايرانى . وهذا توسع فى الموسيقى العربية ، لأن اللغة العربية كانت لسان العلم والادب والفن للامم الاسلامية ، فكان الايرانيون يستقون من معينها ، فتوسعت موسيقاهم .

---

(١) تاريخ العراق ج٢ ص ٣٠٣ وما يليها .

ويهمنا هنا أن نذكر (موسيقى المغول) ، وهذه لم تكن أول ما اتصل بالترك • وموضوعنا موسيقى المغول الايلخانيين • دخلوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م • ومن ثم روعى تطبيق موسيقاهم على ما عند العرب ، فتبين انها لا تخرج ألحانها عنها • فلم تعد مباينة ، أو غريبة النغمات وان اختلفت المصطلحات ، والاسماء • وصارت تعتبر داخلة فى عدادها •••

نعلم يقينا ان الموسيقى ابتدأت فى المغول من أوائل أزمانهم كسائر الامم ، ونشأت عندهم كما هو الشأن عند العرب أو ما يقاربها ، والتفصيل عنها مبسوط فى(تاريخ الآداب التركية)، وفى (منشأ الآداب) للاستاذ فؤاد الكوبريلى[1] • وموضوعنا يخص تاريخ دخولها العراق ، ومدى اتصالها بالموسيقى العراقية ، فهى لا تشبه الموسيقى الفارسية واحتكاكها المتصل بالعربية بعامل المجاورة ، لانها بعيدة عنا ، جاءت مؤخرا ، وكانت بوضع متقن ، تناصرها حكومة قوية أرعبت العالم دهرا •••

التفتت اليها الانظار من حين دخولها ، فلزم تدقيقها ، ومعرفة ماهيتها ، ودرجة موافقتها أو مخالفتها للموسيقى العراقية • وكانت الموسيقى التركية معروفة عنا. الترك فى العراق يغنون ببعض أغانيها بصورة غير منتظمة ولا علمية• شاعت منها بعض الالحان والانغام ودخلت فى الموسيقى العربية وفى عداد أنغامها مثل البيات ، وعادت صوتا ، أو لحنا منها • والمغولية جاءت العراق فوجدت متداخلة فيما عند العرب •

والموسيقى المغولية لا ارتباط لها بغيرها ، والعرب عرفوا مكانتها من موسيقاهم • فتكلموا عليها لئلا تكون مجهولة المنزلة وهى تعزف كل يوم بمرأى ومسمع منهم •••

ويهمنا أن ندون ، ان الارموى كان أحد الاساتذة المجيدين فى العهدين، نال مكانة لائقة عند الخليفة المستعصم كما حصل على موقع ممتاز لدى هولاكو

---

(١) ترك أدبياتى تاريخى ص ٨٤ ، وترك أدبياتنك منشأى ص ٦٣—٦٨ •

وأخلافه • ثبت الموسيقى العربية بكافة ضروبها • وفى أيامه وبعده عرف موسيقارون عديدون مر ذكرهم •

وفى هذا العهد لم يحدث تجدد ، ولا حصلت زيادة • ولا ظهر تعديل قل أو كثر ، وانما ساروا على ما سار عليه العرب فهم عيال على نهجهم العلمى • فعادت الموسيقى العربية أصلا للموسيقى الشرقية ، فلا تباين ما عندهم ، وانما تشمل كل ضرب من ضروب كل قوم • فهى بحق يصح أن نسميها بـ (الموسيقى الشرقية) •

ان الموسيقى المغولية كانت أجنبية عنا ، بعيدة عن موسيقانا ، فانتصب رجالنا لتطبيقها على ما عندنا ، فرأوا أنها لم تخرج عن نوع من الانغام العربية المستعملة المعروفة ، أو هى فرع منها • وللارموى خدمته فى هذا التطبيق العلمى •••

ومن ثم عرفت الموسيقى المغولية وثبتت ، وضبطت ضروب أنغامها • وفى حالتها هذه لا يصح أن يقال انها اشتقت من موسيقانا ، وانما أرجعت الى ما عند العرب من ضروب الالحان ، وتعين أنها لا تخرج عن أنغامها بالرغم من أنها كانت فى سالف أيامها مستقلة فى أوضاعها ، منعزلة عن غيرها • فاذا كانت الموسيقى الايرانية دخلت اللغة العربية بأسمائها وذابت فى موسيقانا ، ووسعت ناحية من نواحيها ، أو أثرت بمصطلحاتها ، فالمغولية أمكنها أن تنطوى ضمن بعض الالحان العربية ونغماتها ، فاندغمت وماعت فيها •••

ورجال الموسيقى أشاروا تارة وأوضحوا أخرى أوضاع الموسيقى المغولية والتركية ••• وهذا لا يكفى دون أن نستنطق الباحثين ، ونراعى أقوالهم ، وتتبعاتهم ، ومنها تعين الحالة الخاصة ، وقد مر بنا النقل عن (أرجوزة الانغام) • جاءت الاشارة فيها الى بعض الانغام والاوضاع مجملة مما دعا أن تراجع مؤلفات عديدة لمعرفة دخول الموسيقى المغولية العراق ، لنعلم أثرها فى الموسيقى العربية ومكانتها منها حتى ظفرنا ببغيتنا ، وتوصلنا الى بيانات مهمة أدلى بها معاصر للمغول متصل بهم اتصالا وثيقا أعنى به الاستاذ عبدالقادر المراغى نديم الجلائرية فى بغداد ، وسلاطين الجغتاى •••

ونحن فى هذه الحالة لا نريد أن نتعمق فى الموسيقى فى دواخلها وبواطنها ، وانما نريد أن نوضح الاتجاه التاريخى ، ونبين ما كانت عليه الموسيقى العربية ومنزلة المغولية منها بما وصل الينا • عولنا على كتاب (جامع الالحان) ومؤداه :

العشاق ، والنوى ، وبوسليك مما يوافق أمزجة الاتراك ، وان هذا مما يولد الشجاعة ، ويحرك الشعور ••• فكانت تلحيناتهم لا تخرج عنها ، ويتعهدونها بآلات يقال لها (كوك) ، أو (كوكات) • وهذه يلحنها العامة عندهم ويدعونها (ايز) و(دوله) • وفى تاريخ الادب التركى للاستاذ فؤاد الكوپريلى ان الكوك يعنى النغمة أو الصوت أو المقام وكذا يطلق على الاغنية والاسم العام لذلك (الكوك) • ويغلب على هذا الغناء (الپسته) أو ما نسميه بالاغنية • وعند العثمانين يقال للموسيقى (مهترخانه) أخذوها من السلجوقيين[1] •

أما الكوك المغولى فهو عند الخطا (الختاى) يبلغ ٣٦٦ لحنا على عدد أيام السنة ، فيعرضون كل يوم (كوكا) منه ، ويلحنونه بـ (حلق) • ويقال له (ايرودونه) • وان أصل الكوك وأعظمه عندهم يقال له (نه) ، ويسمونه (بسون كوك) • وهذه أسماؤه :

١ ـ أولوق كوك •

٢ ـ أصلان چب •

٣ ـ بورس •

٤ ـ بروستارغاى (بورستارغاى) •

٥ ـ فولادو •

٦ ـ جنتـــاى •

٧ ـ خنشـــاى •

٨ ـ شـــنداق •

---

(١) تورك أدبياتي تاريخى ص ٨٥ وما بعدها • وفيه مجمل تاريخه لما قبل المغول بل لما قبل الاسلام حتى عهد المغول والعثمانيين •

وأكثر هذه الكوكات في (دور المخمس) ، ومنها في دور (الرمل) .

٩ ـ فاتا تقوا (ووردت في نسخة : قوتا تقوا) .

وهذا يكون في الغالب على البحر المتقارب ، وعلى ثلاث نقرات وسبعا أخرى . فصل المراغي ذلك كله في كتابه شرح الادوار[1] .

١٠ ـ التركاني : وهذا يعرف عند أهل العراق بـ (المعتـــدل) ، أو ما يسمى بـ (المعتدلات) . وغالب ما يأتون بأبيات تركيـــة وفارســـية لتمثيله وتقريبه ... وتلحينه (العشاق) أو (السيگاه) على أن تكون تلك الابيات من (بحر الرمل المحذوف) ، و(المعتدل) ويؤدى دائماً في (دور الرمل) ، وأحياناً في (پنجگاه) ، وحينا يكون بـ (سيگاه معتدل) . وهذا يسمى (أراني) .

أورد المراغي تفصيلات . وفي سائر كتبه مباحث متعددة . واستشهد بأبيات تركية جعلها أمثلة للتوضيح . وغالبها تجرى في التشريفات السلطانية .

والاصطلاحات المذكورة لم يعد يعرف غالبها عند الترك العثمانيين ، ولا في العراق ، وانما دونهـــا العراقيون من قبل وثبتوها في مؤلفاتهم الخالدة . ولولا ذلك لما علمنا هذا المصطلح ، أو تعسرت علينا معرفته . لأنه لم يبق له أثر ، وانما عاد القوم الى التدوينات العراقية ورجعوا الى ما فيها من مصطلح فكانت وافية .

وغاية ما نقول ان عبدالقـــادر المراغي فصل أكثر من غيره ، وهو ممن عاش في العراق وعرف ما هنالك ، فلا نرى مجالاً للاطالة فيما زاد عن بغيتنا ، فقد فتحنا المغلق ، وصار في ميسور كل أحد ولوج هذه المباحث ، والتوسع فيها من أرباب الاختصاص .. فتبين أن الموسيقى العربية أصل الموسيقى التركية والفارسية . تعتمدان على قواعدها وألحانها وأنغامها المدونة باللغة العربيـــة ، وترجمت كتبها الى تلك اللغات ...

---

(١) ورقة ١٠٦ ـ ١ .

والتركية خاصة تميل الى صنف من ضروب الانغام مما يتفق وسجاياها . ذلك ما ساق المراغي أن يدون مناحيهم ، ويفصل مصطلحاتهم القديمة ، ويشعر بما شعروا به ، وأرجع ما عندهم الى الموسيقى العربية وألحانها ...

وقد أخطأ من ظن ان الترك لا موسيقى لهم ، وانهم دمروا الموسيقى . فالحماية لها مشهودة في مختلف العصور . وان التحامل على الترك في أنهم أعداء العلوم والفنون من كيزوتر (Kiesiwetter) الالماني في كتابه الذي نشره في الموسيقى العربية سنة ١٨٤٢ لم يستثن من الترك إلا آل تيمور . ومثله ما عرف عن البرنس قانتيمر (Cantemer) في تاريخ الدولة العثمانية مما لا محل لتفصيله[١] . وقد رأينا من الامثلة والمباحث ما يدحض هذه الاقوال كما اننا في بحث آخر نتناول الموسيقى في العراق للعهد العثماني . وفيها بعض التفصيل . هذا مع العلم بأن صفي الدين الارموي بلخي ، وان عبدالقادر المراغي تركي قطعاً . وذكر أبياتاً تركية عديدة في كتاباته .

وبهذا كان نصيب الموسيقى العربية أن ثبتت ما عند المغول ، وعينت أنه مما يدخل ضمن ما لديها بلا فرق ، ففاقت غيرها . والايرانية مأخوذة من العربية نسخة طبق الاصل ...

هذا وان المغول تأثروا كثيراً بموسيقانا . والسلطان أبو سعيد من أعظم الموسيقارين . ومثله السلطان أحمد الجلائري .

٣ ـ الموسيقى العربية

في أيام التركمان

من سنة ٨١٣ هـ ــ ١٤١٠ م

الى سنة ٩١٤ هـ ــ ١٥٠٨ م

١ ـ الموسيقى :

كان المغول الايلخانيون في أيامهم ظهرت الراحة ، وسلطة الدولة كانت ترعى الطمأنينة . ومثلهم الجلائرية وهم مغول أيضا . وهؤلاء تشوشت الحالة

---

(١) ملي تتبعلر مجموعهسي ج١ ص ٤٥٧ وج٢ ص ١٣٥ .

في زمنهم مدة ثم مضت في مجراها • وقد مر بنا ما كان من الموسيقى • وهكذا كان (آل تيمور) قد رعوا هذا الفن ، وقويت الصنعة الموسيقية عندهم • وزمانهم متصل بالجلائرية والتركمان • وان رجال هذا العهد هم رجال الجلائرية • فكانت الاوضاع قد استمرت على وتيرة •

ولما تولى التركمان وتعاقبوا على العراق في دولة قراقوينلو ، ودولة آق قوينلو سارت الحالة على سيرتها المألوفة ، واطردت الموسيقى كما كانت الا أن الاشتغال والنقل الى الفارسية استمر • قويت اللغة الفارسية وتمكنت في النقل حتى أواخر أيامهم من قراقوينلو وآق قوينلو • وكأنها أعدت المادة للعهد الصفوى •

وليس لدينا ما يصح أن يدون عما حدث من تجدد في الموسيقى بل صارت في عهد المغول أصلا لمن جاء بعدهم والحالة على ما كانت عليه • ولعل عهد المغول من ايلخانية وجلائرية لم يأت مثله في عهد تال • وانما توسع نطاقها ، ندخلت بلدانا كثيرة وتمكنت •

ولا شك أن التركمان ورثوها من أيام الايلخانية والجلائرية كما ورثوا اداراتهم ، وقاموا بتأييد نغماتهم على يد أكابر الموسيقى العرب • والمؤلفات عندهم لم تتغير ولم يدخلها أدنى تبديل ، ولا أصابها تطور في النغمات ، فلم يحدثوا تبدلا مشهودا •

٢ ـ الموسيقارون :

١ ـ الخواجة عبدالقادر المراغي :

هذا آخر رجال الجلائرية وأدرك هذا العهد • وبه ختمت أيام المغول والجلائرية • والسلطان أحمد آخر سلاطينهم ببغداد • والباقون لا يعدون شيئا • وعبدالقادر المراغي بقي أيام (آل تيمور) وعاش في كنفهم • أدرك العهدين • ولما كان آل تيمور تخللوا العهدين فهو من مشاهير رجالهم في الموسيقى •

كان من أكابر أساتذة الموسيقى ، كتب رسائل عديدة فى العمل به لا يوازيه فى عصره أحد ، كاد يقارب فى شهرته صفى‌الدين الارموى ، بل صار يعرفه الايرانيون أكثر • رجعوا الى مؤلفاته من جراء أنها مكتوبة بلغتهم فكانت عمدة ••• كان عول على مطالب الصفى بحذافيرها وترجمها الى اللغة الايرانية ، وأوضحها كثيرا •••

زاول هذا الفن سنين ، وسعى فيه سعيا بليغا ، وخص غالب اشتغاله به ، فظهرت له غوامضه ، وتجلت حقائقه بحيث فاق غيره من معاصريه ولم يوازه فى رتبته أحد • كان أولا تحت رعاية سلطان العراق (حسين الجلائرى) ثم أخيه (السلطان أحمد) ، فكان من ندمائهما ••• وفى كتابه (الموسيقى) يقول انه بذل جهده فى تحصيله ، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة بما وصل اليه من قدرة وطاقة فتوسع حتى خرج من دائرة التقليد ، ومال الى ناحية تفهيمه وتبسيطه ، وتسهيل طريق الاخذ به ••• مما دعا أن يدون مؤلفاته الخالدة ••• الا أنى لم أر فى هذه الايام من بحث عنها ، واستقصى خبرها •••

وفى تاريخ حبيب السير ما تعريبه :

• حاز أنواع الفضائل ، وحصل منها على نصيب وافر ، ولا يخطر ببال أو خيال أن يجاريه فى الموسيقى ، أو يوازيه الاقران ، وبلغ الغاية فى علم القراءة ، وفى الشعر والخط • مهر فى كلها ••• وكان فى أوائل حاله ببغداد، ينادم السلطان أحمد الجلائرى ، ويلازمه ، وكان يخاطبه السلطان بـ (صديقى العزيز) ، وتمكنت علاقاته به كثيرا ••• ولما أن كتب للحكومة الجلائرية الزوال ، وطوى بساط سطوتها ••• مال الى (ميرانشاه) ، وانتظم فى سلك ندمائه ، وكان عطفه عليه ، ووداده له أكبر ، الا انه ـ على ما علم من مجالس النفائس ـ كان قد اعترى الامير خلل فى دماغه ، وصار يرتكب بعض الامور التى لا تليق ، فأراد الامير تيمور أن يؤدبه وأصدر أمره بقتل ندمائه•• فانتهز الخواجة عبدالقادر فرصة للهرب ، وفر ، اكتسى لباس القلندرية مدة متخفيا حتى ذهب مرة الى الامير تيمور فجذب نظره • كان قد قرأ القرآن

في محفل بصوت عال ، ولحن جذاب ، ومن ثم كانت مشاهدة الامير هـذه وسيلة أخرى لان يبسم له الامل ، وينال المنزلة اللائقة ، ويحصل على العفو . وبعد وفاة الامير تيمور لازم السلطان شاه رخ ، وبقى فى خدمته . كان من ندمائه الى سنة ٨٣٨ هـ - ١٤٣٤ م ، فحدث الطاعون فى التاريخ المذكور ، فأصيب به وتوفى ... » اهـ[١] .

وفى (دانشمدان اذربيجان) جاءت تفصيلات وافرة عنـه . قال : هو كمال الدين أبو الفضائل عبدالقادر المراغى من موسيقارى أذربيجان . ولد فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٤م مال الى الموسيقى والعلم الرياضى أكثر من سائر العلوم ، وتوغل فى هـذا الفن وأدرك دقائقه وألف فيه مؤلفات وافرة ، وأبدى مهارة زائدة . واستخرج ألحانا غريبة ، فكان أشهر الموسيقارين فى عصره . وأول ما عمل الموسيقى لدى السلطان أويس فبلغ شهرة ذائعة . عمل للسلطان ٣٠ نوبة فى شهر رمضان لكل يوم نوبة وذلك سنة ٧٧٩ هـ فجعله السلطان فى صف رضوان شاه ، وأكرمه غاية الاكرام وزادت مكانته لديه . ذكر ذلك فى كتابه (مقاصد الالحان) .

وفى سنة ٧٨٤ هـ ولى السلطان أحمد ابن السـلطان أويس فاتخذه نديمه . وكان فى صحبته فى بغداد وفى تبريز . يكون معـه حيث كان . وألف للسلطان ٣٠ دورا . وكان لكل دور منها ٣٠ من النقرات . وكانت منزلته أعظم لدى هذا السلطان .

وفى سنة ٧٩٦ هـ جاء الامير تيمور الى بغداد بجيوش جرارة ، ففر السلطان أحمد منها ، فانهزم الخواجة عبدالقادر بأهله وعياله الى كربلاء ثم جاء الى الامير تيمور ونظم له بيتين :

مشرق ومغرب مسـخر دورسـكا
دولت ونصرت مقـرر دورسـكا

---

(١) حبيب السير ج٣ ص ٢١٢ .

فتح ونصرت دائما بيلكنــده دور
دولتن حقـدن مقرر دورســـكا [١]

وفي سنة ٨٠٠ هـ بأمر من الامير تيمور ذهب الى سمرقند وما وراء النهر. ثم صار مقرباً لميرزا شاه رخ ، فاتصل به الى آخر أيامه .

ويطول بنا ذكر جميع ما أورده صاحب (دانشمندان أذربيجان)[٢] .

مؤلفـــاته :

١ـ جامع الالحان: فارسي في مجلد ضخم ، أوله «حمد بي غايت، وشكر بي نهايت قادرى راكه ...» ، منه نسخة خطية في نور عثمانية باستانبول رقم ٣٦٤٥ قدمه للسلطان شاه رخ . وكتابه هذا مهم جدا لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من دقائق هذا الفن وعظائمه إلاّ ذكرها ، وأحاط بعلمها ... وفيـــه أوضح مصطلحات القوم ، وأضاف اليه فوائد كثيرة ، يشتمل على مقدمة واثنى عشر باباً وخاتمة . انهاه بالبيتين التاليين :

اين نبشـتم تابرايد روزكار	من نمانم اين بمـاند يا دگار
من شوم بادرد وغم درزير خاك	كس نداند حال من جز كردگار [٣]

ومن أهم ما تعرض له المؤلف في هذا الكتاب (الموسيقى عند المغول والترك) ، وما لهم فيها من الحان . جمع وصف الآلات والنغمات . وفيه بيان التطور في الموسيقى ...

ومن هذا الكتاب نسخة أخرى برقم ٣٦٤٦ ، وثالثـــة برقم ٣٦٤٩ ، ورابعة برقم ٣٦٥٠ ومن الغريب ان لم يذكر له صاحب كشف الظنون كتابا وانما بين اسمه في عداد رجال الموسيقى ...

---

(١) معنى البيتين أن المشرق والمغرب قد سخرا لك وتقرر لك الملك . وصار النصر حليفك والفتح اليفك فثبتت لك الدولة من الحق تعالى .

(٢) دانشمندان أذربيجان ص ٢٥٨ ـ ٢٦٤ .

(٣) فحواه : كتبت هذا ليبقى زمانا بعدى ، أنا لا أبقى ، وجعلته ذكراى ، وستوارينى الترب بغم وألم ، ولا يعلم حالى غير خالقى .

ولما ألف كتابه المذكور ـ كما قص ذلك ـ كان له من الاولاد (نورالدين عبدالرحمن) وله من العمر ١٢ سنة ، و(نظـــامالدين عبدالرحيم) وله من العمر ٧ ســـنوات .

ونورالدين هذا ألف (مقاصد الادوار) باسم السلطان بايزيد (سنة ٨٨٦هـ ـ ٩١٨ هـ) .

وعبدالعزيز حفيد عبدالقادر المراغى من الموسيقارين المشاهير فى القرن العاشر الهجرى . له رسالة (نقاوة الادوار) فى فن الموسيقى كتبها باســم السلطان سليمان . منها نسخ فى نور عثمانية وأخرى فى أيا صوفيا(١) .

٢ ـ كتاب الموسيقى : وهذا لا يختلف عن سابقه فى موضوعه الا انه لم يقدمه الى أحد ، والظاهر ان هذا هو الذى اختصره باسم السلطان محمد ابن السلطان مراد(٢) ، وسماه (كتاب مقاصد الالحان)(٣) .

وكتاب الموسيقى أصل (جامع الالحان) كتب له المقدمة ، ولم يغير منه شيئا ... نسخة منه فى نور عثمانية باستانبول .

ومقاصدالالحان جاء فى (دانشمندان أذربيجان) أنه ألفه سنة ٨٢١ هـ باسم ميرزا شاهرخ . وأوله :

« الحمد لله الذى زين الاصوات ، بطيب الالحان والنغمات ، وسيرها دائرة بين الشعب والمقامات ... »(٤) . ومنه نســخة بخطه فى ســنة ٨٢١ هـ (٥).

ورأيت منه نسخة فى خزانة سراى طوبقپو فى روان من استانبول . برقم ١٧٢٦ . وفى أوله أبدع النقوش . وقدمه مؤلفه الى السلطان محمد ابن مراد ولا شك انها منقولة من النسخة السابقة .

---

(١) دانشمندان أذربيجان ص ٢٥٤ و٢٥٧ .
(٢) راجع عثمانلى مؤلفارى .
(٣) منه نسخ عديدة فى نور عثمانية باستانبول .
(٤) دانشمندان اذربيجان ص ٢٦١ .
(٥) خزانة المشهد الرضوى ج٣ ص ٣٥٠ .

وبعد أن ذكر نغمة داود مضى الى الخلفاء الامويين والعباسيين ، وذكر صفي‌الدين الارموى وانه صاحب الادوار فى زمان المستعصم • تخرج عليه أربعة : الشيخ شمس‌الدين أحمد السهروردى ، وعلى الستاهى (أو الستائى لم تظهر واضحة) ، وحسين زامر ، وحسام‌الدين قتلغ بوغا •

كتب هذه النسخة فى ٤ جمادى الآخرة سنة ٨٣٨ هـ • وفى هـذا الكتاب جداول من أتقن الصنع ، والكتاب بخط جميل جـدا • لعله بخط المراغى وكان من مشاهير الخطاطين • والنسخة خزائنية فى غاية النفاسة •

٣ ـ زبدة الادوار : فى الباب الثانى عشر منه بين أنواع الموسيقى عند الترك ، وهذه النسخة وصلت الى الاستاذ رؤوف يكتا الموسيقار الشهير فى المملكة التركية من منيف بك المستشار الاسبق للسفارة العثمانية فى طهران كان حصل عليها المستشار هناك وأهداها الى الاستاذ الموما اليه[١] •

٤ ـ شرح الادوار : وهـذا أول مؤلفاته ، شرح (كتاب الادوار) لصفي‌الدين الارموى ، وباقى مؤلفاته توحيد لمباحثه • كتبه مشروحاً بالفارسية والاصل عربى • كتب له مقدمة وعرضه على (الشاه رخ) ، شاهدت هذه الكتب ما عدا (زبدة الادوار) ، وكلها تعين نهج المؤلف وتوضح ترجمته ، وغالب ما اعتمده كتب الصفى الارموى أفرغها بقالب اللغة الفارسية ويدعى انه المجدد الثانى ••• ذكره الغفارى فى تاريخه وأثنى عليه[٢] ••• وفى تذكرة دولتشاه السمرقندى تفصيل ترجمته •••

٥ ـ كنز الالحان فى علم الادوار : ذكره فى ذيل كشف الظنون المسمى ايضاح المكنون[٣] • ونسبه الى الخواجة عبدالقادر المراغى ولم أشاهده •

عرفنا الكثيرين من معاصريه ، أو أساتذة سابقين ، أو كانوا من أخلافه فتوضح لنا الشىء الكثير عن رجال القرن التاسع الهجرى •

---

(١) ملى تتبعلر مجموعه‌سى عدد : ٢ •
(٢) تاريخ الغفارى المسمى عالم آرا • عندى مخطوطة منه بخط نفيس •
(٣) ذيل كشف الظنون ج٢ ص ٣٨٤ •

طال بنا الكلام على رجال الموسيقى ، وما كنا نظن أن سنظفر بهـذا العدد من مشاهيرهم ، وكل ما تقوله ان هؤلاء الموسيقارين ممن يفخر العراق بعلمهم الجم ، واتقانهم الفن ...

ولعل الايام تظهر آخرين • ومن المهم ذكره ان هناك قصيدة فى آلات الطرب لم يعرف قائلها وردت فى فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٢٨٧ أولهـــا :

كم بات يرصد ناظـرى   بدر كغصن ناضر

واكتفى بأنها لاحد الادباء ولم يزد • فهى تستحق التدقيق ، والتحرى عن مؤلفها ...

٤ - الموسيقى فى ايام الصفويين

من سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م

الى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م

الصفويون يعـدون من التركمان • وكانت أيامهـم متصلة بحروب شـوشـت أمر العـراق والممـالك الاخرى ، فلم يلتفتوا كثيرا الى الموسـيقى اذ لم يجدوا وقتاً للراحة لانهماكهم فى الحروب ، والموسيقى بنت الاستقرار والطمأنينة • فمضت الموسيقى فى وضع مطرد من أيام الايلخانية والجلائرية ومن بعدهم وان كانت تتخللها زعازع واضطرابات •

والمهم أن نقول ان المؤلفات المنقولة الى اللغة الايرانيـة أعدت الافكار لتسهيل الاخذ • ومضى ذكر جماعة من رجال الموسيقى فلم تنقطع الصلة وان كانت فقدت التنشيط الا أن الشاه طهماسب رعى فى أيامه الموسيقى ، وحمى رجال الفن ، ولم تظهر آثار ذلك فى العراق طول أيامهم فيه •

ولا ينكر فى هذه الحالة أن أرباب الفن لم يهملوا الصنعة • وانما كانت

تجري دون مناصرة ، فلا يؤمل أن تكون الرغبة زائدة عما كانت عليه ، ولا ظهرت مؤلفات تدعو لانكشاف الوضع لا سيما وان أمد هذه الدولة لم يطل في العراق ، فلا نستطيع أن نبين من علماء الموسيقى أحـــدا كان له التأثير الكبير ، لقلة الرعاية والعناية من جهة وقصر المدة من أخرى . ولعلنا نعود الى البحث في العهد العثماني حينما استولى الشاه عباس الكبير على بغداد .

الموسيقارون والمغنون

(في الاقطـــار العربيـــة)

اشتهر بعض رجال الموسيقى في الاقطار العربية . وكان العراق أقرب للتفاهم معهم . وكان يتبادل الآراء معهم ، ويتعاون في الثقافة . والمشاهير في الشام ومصر لا يستهان بهم . ومن هؤلاء جماعة عرضوا لنا أثناء المطالعـــة نذكر منهم :-

١ - ابن الفصـــيح :

هو عبدالعزيز ، كان مغنيا ، أعجوبة زمانه في صناعة الغناء وفيه يقول علاءالدين الوداعي :

لحن هذا الفصيح أحسن من اعـــراب ذاك الفصيح في كل حال
بين هـــذين في الملاحة بون ذاك من ثعلب وذا من غـــزال

وله :

وليلة ما لهـــا نظير في الطيب لو ســاعفت بطول
كم نوبة للفصيح فيها أطـــرب من نوبة الخليـــل

مات في جمادى الاولى سنة ٧١٠ هـ - ١٣١٠ م بالقاهرة[١] .

٢ - ابن كر :

هو محمد بن عيسى بن حسن بن كر[٢] . يتصل نسبه بمروان ابن

---

(١) الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٨٥ .

(٢) ورد أحيانا بلفظ ابن كثير وليس بصواب ، وهو من بيت امرة ببغداد حتى ملكها التتار كما في مسالك الأبصار .

محمد الاموى • الشيخ الامام ، أبو عبدالله ، حسام الدين ابن أبى الروح ابن فتح الدين الحنبلى ، امام أهل عصره فى الموسيقى ، كان صوفياً ، فتيهاً ، ولد فى ١٤ شهر ربيع الاول سنة ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م بالقاهرة • وكان قد ذهب أبوه من بغداد الى القاهرة حين غلب عليها هولاكو • أخذ الموسيقى عن غير واحد ، ففاق الاقران ••• فهو فرد لا يلحق ، نقل مذاهب القدماء فحررها وأخذ على نفسه أن لا يمر به صوت مما ذكره الاصبهانى الا ويجىء به على وجهه • ولم يتكسب بصناعة الموسيقى ، وذكره ابن فضل الله وقال : (لقد رأيته يوما غنى فأضحك ، ثم غنى فأبكى ، ثم غنى فنوم ، فرأيت بعينى ما كنت سمعت بأذنى عن الفارابى) •

ومن تصانيفه فى الموسيقى (غاية المطلوب فى الانغام والطروب) • توفى سنة ٧٦٣ هـ - ١٣٦٢ م فى مصر[١] • وفى كشف الظنون انه توفى سنة ٧٥٩ هـ •

٣ - الصفدى :

أشهر من أن يذكر • كان من مفاخر العصر ، وخدماته لتاريخ العراق لا تنكر ، ترجم الكثير من رجاله ونسائه ، وله الفضل فى احياء ذكر بعض رجال الموسيقى فى العراق ، وله كتاب جامع فى الموسيقى منه نسخة فى خزانة برلين برقم ٥٥٢٥ ج ٥ • وكتابه الوافى بالوفيات ، وأعيان العصر وأعوان النصر من الآثار العظيمة جدا للتعريف بالسلف فى الموسيقى وغيره •

توفى سنة ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م •

٤ - ابن بابا :

هو الاستاذ صارم الدين ابراهيم العواد ، أحد ندماء الملك المؤيد شيخ ومغنيه ، وكان أعجوبة زمانه فى ضرب العود والغناء ، ولم يكن جيد الصوت ، بل كان رأسا فى العود ، وفى فن الموسيقى ••• انتهت اليه الرئاسة فى ذلك ،

---

(١) المنهل الصافى • مخطوط •

ولم يخلف بعده مثله ، كان رومي الاصل ، وفي حديثه باللغة العربية عجمة .

مات في مستهل شهر ربيع الاول سنة ٨٢١ هـ – ١٤١٨ م [١] .

٥ – اتفـــاق :

كانت من شهيرات المغنيات ، وهي مولدة ، نشأت عند (ضامنة المغاني) في (بلبيس) ، ثم انتقلت الى (ضامنة المغاني) بمصر ، فعلمتها عند (علي العجمي) [٢] ضرب العود ، ففاقت فيه ، وبلغت الغاية ، وحظيت عند الصالح اسماعيل ، ثم شغف بها بعده أخوه الكامل ، ثم تزوجها المظفر ، وهام بها فأفرط ، ثم تزوجها الوزير موفق‌الدين هبةالله بن السعيد ابراهيم ، ومات عنها [٣] ...

٦ – محمد بن عبدالحميد اللاذقي :

له مؤلفات مهمة في الموسيقى الا انه اعتمد في غالب مباحثها على تصانيف الصفي الارموي ، وعبدالقادر المراغي . ومن كتبه (زين الالحان في علم التأليف والاوزان) أوله : « الحمد لله المنفرد بتأليف النغمات الشهية ... » ألفه سنة ٨٨٨ هـ – ١٤٨٣ م . منه نسخة رأيتها في مكتبة نور عثمانية رقم ٣٦٥٥ ، وله (الفتحية) في الموسيقى أولها : « الحمد لله الذي أذاقنا حلاوة الالحان... » ألفها للسلطان بايزيد ابن‌السلطان محمد ، وأهداها اليه. قال في كشف‌الظنون: هي من المتوسطات في هذا الفن . نقل منها مبحثه في الموسيقى بصورة مسهبة، وفي دار كتب الاوقاف العامة ببغداد في‌الخزانة الخالدية نسخة منها برقم٢١٢٩ كتبت سنة ١١٩١هـ . والنسخة كثيرة الغلط . ومنها نسخة في خزانة المشهد الرضوي كتبت سنة ٩٥٧ هـ ج ٣ ص٣٤٤ ومن‌مراجعه فيها (الرسالة الشرفية) للارموي ، و(جامع الالحان) للاستاذ المراغي ، ولعل الغلط ناشيء من الناسخ.

رتبها على مقدمة وطرفين ، جعل المقدمة في تعريف الموسيقى وموضوعه وغايته ووجه تسميته ، والمبادىء الطبيعية والعددية والهندسية ... والطرف

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ٨٠ .
(٢) لم أعثر على ترجمة مفصلة له .
(٣) الدرر الكامنة ج١ ص ٨٠ .

الاول فى علم التأليف • وبحثه فى الدساتين موسع ، وفى التأليف والادوار • • •
والطرف الثانى فى الايقاع • وأبحاثه مماثلة للشرفيـــة • وذكر ان آلات
الموسيقى هى ذوات أوتار أو آلات نفخ • وعدد جملة منها •

ومؤلفات صفى الدين المرجع المهم له • توفى فى حدود سنة ٩٠٠ هـ •
١٤٩٤ م •

اثر الموسيقى
(فى الأقطـــار)

الموسيقى العراقية فى أيام الايلخانيين زاد نشاطها ، وتمكنت فى الاقطار ، وقويت العناية بها ، وان السيطرة على العراق لم تقلل من شأنها الا انهـا بتوالى الازمان تباعدت عنا ، ودخلتهـا مصطلحات الاقوام • وكانت العلاقة بايران أعظم • نقلت مؤلفات عراقية الى الفارسية وكان الايرانيون يعرفون بالغناء ، فتمكن بسبب هذا الاتصال لا سيما وان المغول مالوا الى الآداب الايرانية ، فزاد الاتصال بهم • والعـلاقة بالعرب غير منقطعة ، وبالاقطار الاخرى مشهودة •

ومن أمثلة الاتصال بالاقطار العربية ما ذكره الصفدى ، وابن فضل الله العمرى • وكانا بارعين فى الموسيقى • وبعد الاخذ منا تدهورت الحالة وصارت مهملة فى العهود التالية •

وثقافتنا لم تمت • وانمـا ضعفت ، ولا ينكـر أن للاقوام الآخرين موسيقى الا أن هذا لم يمنع من التكامل • وانما نرى المترجمات الى اللغات الاخرى معروفة • وأكثر ما أخذ منا الايرانيون والعثمانيون • وان اللاذقى كان معتمده الادوار والشرفية • والخواجة عبدالقـادر المراغى والصيرفى وغيرهما نقلوا الى اللغة الايرانية الكثير من المؤلفات ، وحمدالله نقل الى التركية ، والهنود أخذوا الموسيقى أيضا والتأثير مشهود •

نود أن نتوسع لنكون على علم من هـذه العـلاقة بأن نلتمس المعرفة التاريخية لادراك الصلات من وجوهها المنوعة •

وكل ما نقوله أن بغداد ولدت علاقات موسيقية بالاقطـــار المجاورة • وكذا البعيدة مثل المغول ، والجغتاى • وكذا التركمان ، والدولة العثمانيـة قبل فتح بغداد ، والاقطار العربية • وكان سقوط بغـــداد على يد المغول قد سهل انتشار موسيقى العراق فأخذت بها الاقطار الاسلامية ، بل فتحت فتحا علميا عظيما بالرغم من أن بلادها مكتسحة •

ومن هنا ظهر أن لكل قطر مصطلحات وربما شاعت فكان لها الاثر ، فمن ذلك المغول عرفنا ما أدخلوا • والايرانيون كانوا أسبق فى هذا الاتصال ، وكذا التركمان • والمهم أن الامم الاخرى لم تؤثر علينا كما أثرت ايران فى شيوع مصطلحاتها ، ومراعاة ألفاظها حتى دخلت بكثرة • وللتدخل السياسى وللجوار أثرهما •

آلات الموسيقى

من هذه ما كان بالاوتار أو الضرب • ومنها ما كان بالنفخ • والاصوات الغنائية منه حتى الصفير بتقليد الطيور فى أصواتها مما نظم الغناء تنظيما علميا تبعا لحركات الاصابع بالاوتار أو بالاصوات الاخرى •

وفى هذا العهد استخدمت آلات غالبها لا يفترق عن المعروفة أيام العباسيين • ومنهـــا :

١ ـ عود • منه قديم ، وكامل وأكمل •

٢ ـ رباب •

٣ ـ مزمار • ويسمى الزلامى • ومن نوعه الشبابة • وكذا البوق من آلات الزمر •

٤ ـ ناى • وصورناى (زورنه) •

٥ ـ جنك •

٦ ـ نزهـه •

٧ ـ قانون •

٨ - مغنى .
٩ - كمانجـه .
١٠ - طنبور .
١١ - دف .
١٢ - طبل .
١٣ - ششتا .
١٤ - قوبوز . أو قبوز .

وهذه ذكرها القطب الشيرازى فى كتابه درة التاج وشكرالله بن احمد التركى [١] ، ومحمد بن عبدالحميد اللاذقى [٢] وفى مقدمة ابن خلدون [٣] جاء ذكر بعضها بأسماء لا نعرف لبعضها اليوم استعمالا أو تبدلت اسماؤها ، فتعين منها ما كان معروفا فى عهد المغول والتركمان وكل هذه اما من نوع العيدان أو من الطنابير ، أو المعازف أو المزامير .

ويهمنا أسماؤها . وذكر شكرالله ما تعمل منه ومعالجة صنعها ، وذكر الاستاذ فارمر من مستشرقى الانكليز تصاوير ما كان منقوشـا على البرونز مطعما بالفضة من هذه الآلات لنفس العهـد [٤] . وفى متحف الاوقاف الاسلامية باستانبول أذكر انى رأيت كتبا فيهـا (مجالس لهو) بآلات موسيقية . وفى كتب (مجنون ليلى) ، أو (خمسهٔ نظامى) ، وكتب (خواجو الكرمانى) المصورات وكتب الادب والطرب نشـاهد فيهـا تصـاوير آلات الموسـيقى بأيدى المغنيـات والمغنين كما أن التصاوير منتشرة فى أوضاع مختلفة ... ولا يكاد يخلو موطن من أرباب اللهو والملاهى والقينات واضحة فى تصاوير عديدة .

---

(١) ملى تتبعلر مجموعهسى ج٢ ص ١٣٥ و٢٣٣ وهناك تفصيلات .
(٢) وله كتاب (فتحية) منه نسخة الاب انستاس مارى الكرملى فى خزانة الآثار القديمة ببغداد . وأصلها فى خزانة التكية الخالدية من مكتبة الاوقاف العامة . وأقدم نسخة فى خزانة المشهد الرضوى .
(٣) مقدمة ابن خلدون ج١ ص ٣٥٤ من التاريخ .
(٤) مجلة الجمعية الاسيوية الملكية بلندن سنة ١٩٥٠ م عدد ٣ و٤ .

ولا ننس أن آلات الموسيقى الموجودة اليوم لاتختلف عن تلك إلا فى العناية بالصنعة والتزويق والاهتمام الزائد بين ما يجرى فى مجالس الملوك والامراء وبين ما يشاهد فى غيرهم • ولم يتجدد من هذه الآلات الا القليل وفى الاقطار الاخرى ما يعين الصنعة ••• ومنها ما شاع عندنا بأسمائها الايرانية أو التركية ، فمن السهل العودة اليها •

مصطلحات الموسيقى

(فى العهدين)

لا تزال المصطلحات متداخلة فى عدد من ألفاظها • وما ذلك الا لانقطاع الصلة بالتاريخ من أرباب الموسيقى وما جرى من تطور ليمكن الرجوع الى الاصل • ومن ثم تولد الاخلال بالمعرفة العلمية بتوالى الامم على العراق ، فشاعت مصطلحاتها • نلتمس بعض الالفاظ فى كتب لغتنا فلم نجدها فى حين أنها لم تدخل اللغة العربية • ومن هنا وقعت توهمات •

وهذا يظهر فى التحقيق عن (دستان) وتاريخ استعماله حتى صار يقال له (دوزن) • وأصله العتب وكذا (العود) وألفاظه المترادفة يدل على التداخل • وهكذا يقال فى أوتار العود وأسمائها • ومن جراء عدم المعرفة التاريخية بالموسيقى تباعد العربى عن مصطلحاته •

والمصطلحات لا تقتصر على هذه بل تبدلت ألفاظها وحل محلها غيرها • وتاريخ الفن يعين وجوه استعمال الالفاظ المتوالية لمختلف العصور • والمصطلحات الجديدة لا تقطع العلاقة • والمعرفة العلمية تعود بها الى سيرتها الاولى ما دام الاثر مدونا فى التاريخ •

نرى ألفاظا جدت وأخرى اندرست فالضرورة تدعو أن لا نهمل العلاقة بالماضى لنعرف مدارج الفكر العربى ، وأن نحيى ما يستحق الاحياء • والامم نراها تراعى ألفاظا مائتة ومندثرة فتسعى لاحيائها • فلا مانع من العودة الى الالفاظ العربية •

فاذا علمنا معنى (جوق) ، و(جوقة) ، أو (نوبة) • وعلمنا استعمال (ساز) و(پرده) و(آواز) وما يراد من كل منهـا أمكن الرجوع الى مصطلحنا بسهولة • فان مثل هذه المصطلحات أحدثت أثرا ودخلت المصطلح• وغرضنا الفات النظر الى مثل هـذه المصطلحات لتعرف من جهة ، وليحل محلها غيرها •

ولا يتحقق الغرض الا بنشر المؤلفات القديمة لمختلف العصور والتثبت من مصطلحاتها •

خلاصة الموسيقى العربية

كانت هذه الموسيقى عالة على رجال الصنعة من العراقيين الذين اكسبوها المكانة اللائقـة من العلم والعمل فذكرنا رجال الموسـيقى المعروفين ، وبينا المؤلفات فيها وانها ترجع فى أصلها الى العهد العباسى الاخير ، وركنها الركين مؤلفات صفى‌الدين الارموى • وهذه نالت من الشهرة ما يليق بها • وهذا الاستاذ ترك بعده فى هذا الفن عددا لا يستهان به من الاساتذة • لم يبدع الصفى الموسيقى ، ولكنه أفاد فى التوجيه ، وأضاف بعض الاضافات كما ذكر فى رسالته الشرفية •

وهذا لا يمنع أن نقول بأن الموسيقى العراقية دخلتها موسيقى المغول ، ولكنها لم تتغلب عليها • وانما ذابت فى الموسيقى العراقية • لان المغول تأثروا بالادب الايرانى وموسيقاه • وهذا توسع كثيرا بما أخذ عن العرب • ولا يزال غير مقيد بانتاج لغته • وانما يعد اللغة العربية محل ثقافته وطريق التوسع فلم يقبل الايرانى أن يحدد بمخلفات أسلافه وانما كان ولا يزال يستقى من معين اللغة العربية • والموسيقى هذا شأنها انهمكت ايران بها للتوسع من هـذه المؤلفات العربية •

ذكرنا أمثلة كثيرة • وان الكتب الموسيقية المنقولة لا تحدد بها • ولعلها أكثر بكثير من تلك الكتب المنقولة المعلومة • وهذه وحدها تكشف عن العلاقة،

وتنطق بالصلات الثقافية من وجوهها العديدة غير مقصورة على هذا الفن وحده .

وأما العثمانيون فانهم اتصلوا بالجلائرية فى بغداد اتصالا لا ينكر . فان عبدالقادر المراغى قدم بعض كتبه الى السلطان العثمانى ، وان شكرالله بن أحمد نقل الى التركيـــة ما قاله (صفىالدين الارموى) فى مؤلفاته كما ذكر عمل الآلات الموسيقية . وبين أوضاعها فى كتابه ، وهكذا توالت المؤلفات وظهرت الصلات أوضح بعد الفتح العثمانى لبغداد .

وان حادث المغول لم يكن أول اتصال بالترك بل ان دولة السلاجقة طال أمد بقائها فى بغداد مما يخص الدولة العباسية . وموضوعنا عهـــد المغول ودولة الايلخانيين مكنت هذا الفن . وان السلطان أبا سعيد يعـــد من رجال الموسيقى . وخلفتها دولة الجلائرية . وهذه لم تقصر فى حماية هذا الفن . ومن رجالها فى الموسيقى السلطان أويس ، والسلطان أحمد وهذا الاخير جمع ندماء من أكابر أرباب الصناعات النفيسة ويعد من أكابر رجال الفن .

ثم استولى آل تيمور ولم يقصروا فى حماية الموســيقى ، وضموا اليهم أكابر الرجال فيها من عهد الجلائريين أمثال عبدالقادر المراغى . وكان أستاذ الفن نقل مؤلفات صفىالدين . ومثله فعل الصيرفى وآخرون...

والظاهرة المهمة أن المغول قبلوا اللغة الايرانيـــة فتمكنت فيهم الآثار الادبية واللغوية خاصة وبعض العلوم . وهكذا كان شأن الموسيقى . وربما كان نصيبها عندهم أكبر وأعظم . والعثمانيون بواسطة استيلاء المغول تأكدت فيهم الفارسية وتمكنت أكثر من العربية وان كانت لم تنقطع العـــلاقة . دام ذلك الى أن فتحوا الاقطار العربية فحصل الانكشاف والميل العظيم الى لغة العرب .

والعلاقات الخارجية هذه لم تمنع الاشـــتغالات العلمية والعملية فى الموسيقى فان أمرها استمر ، ولم تتغلب الفارسية وتنشط الا بعد حين . ولم يقل الاشتغال عندنا الا بعد ذلك ، ولكنه لم ينقطع الا أن حمايته قلت ، ورعايته زالت نوعا ، بقى محدودا وان كان يراعى الصوت الموسيقى فى قراءة القرآن

الكريم • ولعله من أسباب ثبوته واستقراره • ولما مالت الى الاقطار اكتسبت قوة • فزاد الاهتمام بها • وكأن الاستيلاء المغولى أدى الى أن تخرج الموسيقى العربية من نطاقها المحدود وتميل الى مواطن الرغبة فيها فدخلت أمما ولكنها فقدت كسوتها العربية واكتست كسوة اللغة الفارسية والتركية • وصرنا نظن أن العلاقة منعدمة ، ونعتقد أن أصل موسيقانا لا وجود لها وعـــدنا نقول ان الموسيقى فارسية وموطنها ايران •••

أرى فى ذكر ذلك كفاية لمعرفة التيار الثقافى • فاذا كان العراق محدود النشاط فى موسيقاه فقد صار فى رعاية الدول ، فنشطت للاخذ به• وعاد عاما• وأهم من كل ذلك ان الدول الاسلامية حافظت عليه واحتفلت به •

والهند أيضاً تأثرت به من طريق استيلاء المغول والجغتاى عليهـــا ، فدخلت (المصطلحات العربية) الهند •

ولا ينكر مثل هذا الاتصال• فاناللغة العربية كانت (لغة الشرقالاسلامى)• وواسطة التفاهم فى العلم ، ووسيلة المعرفة الدينية • ولا تزال • وان اهمال أمرها قد ولد مشاكل كثيرة • والانتباه يؤدى الى اعادة المؤسسات وتمكينها •••

والامل أن تلتفت الاقطار الاسلامية الى توكيد الثقافة لتكون الصلات أكبر وأعظم لا فى الموسيقى وحدها بل فى سائر سبل الثقافة •

الخاتمة

علمنا من هذه البحوث مكان الموسيقى وعرفنا رجالها عندنا ، ومخلداتهم الثقافية ، وأدركنا درجة الاهتمام بهذا الفن الجليل الذى لا يهمه دخول بعض الطائشين فيه من أهل الملاذ المنهمكين فى الهوى • وانما تجلت أوضاع هذا الفن •

ولا شك أن البحث من طريقـــه العلمى ، والتوصل الى ما أنتج فى مختلف العصور يؤدى بنا الى الغاية المبتغاة بأن نتوســـع فى (التاريخ العلمى

والادبى) لنكون على بينة من ثقافتنا الماضية ، وأن نتوجه نحو ما وصلت اليه ثقافات الامم وعلاقاتنا بها . والماضى الجليل أكبر منشط للعمل فى ضروب المعرفة ، وأعظم باعث للاهتمام فى الموسيقى وغيرها من سائر الثقافات .

والموسيقى خاصة نالت اهتماما كبيرا منا لحد أنها دخلت قراءة القرآن الكريم وصار يراعى فيه الصوت الموسيقى . وبذلك جذب وجلب . ونالت الموسيقى عناية كبيرة . ولا شك أن الصوت المنظم تنظيماً علمياً زاد فى بلاغة الكتاب الكريم زيادة مشهودة لما فى ألفاظه من انسجام وبلاغة . ساعد اتساق ألفاظه واطرادها بحيث يعتقد أن اللحن مقصود بها ، وانه متصل بالموسيقى اتصالا وثيقا ...

هذا . ولا أريد أن أتجاوز حدود الموسيقى ، بل القراءة تعد من أسباب حمايتها ، وطريق تمكنها وقل أن تراعى كموسيقى ، ولكنها لم تنعدم طول هذا العهد . والله ولى الامر .

الملحق الاول

كتاب الملاهي

واسمائها

من قبل الموسيقى

تأليف

أبى طالب المفضل بن سلمة

النحوى اللغوى

المتوفى سنة

٢٩٠ هـ — ٩٠٢ م

نقلا من نسخة بخط ياقوت المستعصمى

فى خزانة سراى طوبقبو

بتعليق :

عباس العزاوى المحامى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الغناء قديم . لا تخلو أمة من الميل اليه . وآلاته جاءت مصورة في الآثار القديمة . وجد في العراق من حين وجدت حضارته وكان معروفا عند العرب . ولما ظهر الاسلام اتصل بأمم عديدة، فاقتبس المسلمون ضروب الغناء . و(كتاب الملاهي) هذا جاء موضحا عن الغناء العربي القديم وآلاته . كتب في المائة الثالثة للهجرة (القرن التاسع الميلادي) . ويعد تحفة نفيسة . من خير المخلفات في بابه . ذكر الغناء ومتفرعاته ، وضروب الملاهي ، وأولية كل منها .

استدل على وجوده بالشعر العربي وبنصوص قطعية ، وانه ليس بحرام بذاته ، وان الامر فيه سهل . لا يخل بشرف ، ولا يزرى . سبق (كتاب العود والملاهي) ليحيى بن أبي منصور الموصلي ، و(كتاب اللهو والملاهي) لابن خرداذبة . وكان المؤلف (المفضل بن سلمة) من علماء اللغة . و(البارع) و(الفاخر) في لحن العامة من مؤلفاته . وله اختيارات في اللغة واستدراكات على كتاب العين الا أنها لم تنل قبولا من جميع الوجوه[1] .

ومن أساتذته والده ، وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ - ٨٥٨ م وثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ - ٩٠٤ م وممن أخذ عنه نصوص كتابه في الغالب (عمر بن شبه) المتوفى سنة ٢٦٢ هـ - ٨٧٥م ، و(محمد بن شداد) المتوفى سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م وكان انقطع الى الفتح بن خاقان المتوفى في شوال سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦٢ م . وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : زعم أن محمد بن يحيى سمع منه (في السنة التي توفي فيها) . وهي سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م كما في كشف الظنون الطبعة الجديدة باستانبول عند كلامه على كتابه

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٩٦ ومعجم الادباء ج ٧ ص ١٧٠ .

(البارع) فى اللغة[1] وابنه أبو الطيب توفى سنة ٣٠٨ هـ - ٩٢٠ م[2] .

والاستاذ جيمس روبسن ترجم كتاب الملاهى الى اللغة الانكليزية ، ونشر مصور النسخة الاصلية المخطوطة بخط ياقوت المستعصمى ، وذكر ما يتعلق بالمؤلف وابنه المذكور نقلاً من كتاب الاسماء واللغات للنووى ، ومن وفيات الاعيان ، وأوضح عن مؤلفات المترجم فى فهرس ابن النديم وغيره ..

ومن ثم عرفنا أن المصنف اشتهر أمره من أواخر النصف الاول من القرن الثالث فتعين لنا عصره من تاريخ أساتذته ومن اتصل بهم أو انقطع اليهم مثل الفتح بن خاقان كما علمنا تاريخ وفاته مقارباً لوفاة أستاذه ثعلب . واعتقد انه لم يبق خفاء .

ثم توالت الآثار فى الموضوع الا اننا لم نعثر الا على القليل . وفى كتاب العقـد الفريد ، وكتاب الاغانى ما يكشـف عن بعض المطالب . ففى العقد اختلاف الآراء بين العراقيين القائلين بكراهـة الغنـاء ، وبين الحجازيين المجوزين له . وبسط القول فى مطالب أخرى . وسمى الغناء بـ(علم الالحان). ولفظ (الموسيقى) معرب . ومن العلماء من اقتصر على بيان الحل والحرمة . كتبوا مؤلفات عديدة . ومنها جملة وافرة فى خزانة برلين . وعندى نسـخ مخطوطة فى ذلك .

والاتجاهات مصروفة نحو الانهماك فى الغناء واتخاذه وسيلة لضياع الوقت واهمال الواجب ، فصد عن الغرض . وأكبر سبب للحرمة أن ينغمس المرء فى الملاهى ، أو يرتكب المناهى . والميل النفسى لا يصد . والتوجيه الحق ضرورى باجتناب ما يؤدى الى معصية ، أو يسوق الى ذميمة ...

رأيت أن أنشر هذا الكتاب بتعليقات تعميما للفائدة التاريخية ، وأصل النسخة فى خزانة سراى طوبقبو باستانبول لا سيما أن المصور طبع فى عدد

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادى ج ١٣ ص ١٢٤ وكشف الظنون طبعة استانبول الجديدة .

(٢) شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٣ .

محدود سنة ١٩٣٨ م في مجلة الجمعية الملكية الاسـيوية مقرونا بمطالعات الاستاذ هنري جورج فارمر وتصحيحات الاستاذ كرينكو المستشرق المعروف. أبرز هذا التعاون الترجمة الانكليزية بعناية زائدة . ومن هـذا المطبوع نسخة في خزانة الآثار القديمة ببغداد .

وجل أملي أن تكون هذه النسخة عند رغبة الافاضل ، وتبعث الى طريق التوسع ، وضبط المصطلحات العلمية من طريقها ، فتؤتى البيوت من أبوابها. والله ولي الأمر .

عباس العزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يهب الفهم لمن يشاء • وأعوذ بالله من ادعاء ما لا أحسن • فقديما ما هتك ذلك من يتعرض له حتى ضربت به الامثال ، وجرى على ألسن الخواص والعوام • فمن ذلك الحديث الذى يروى : المتشبع بما لا يحسن كلابس ثوبى زور • وبعضهم يرويه (بما لا يملك) • وفى هذا يقول الشاعر:

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان
وجرى فى الرجال جرى هجين غادرته الجياد فى الميدان

وذكر لى عن بعض من يدعى العلم أنه زعم أن العرب لا تعرف (العود) ولا فى كلامها تسمية شىء من أوتاره وآلته[1] فعزمت على تبيين أمر العود وغيره من الملاهى • ومن أول من عمل شيئاً منها؟ وما قالت العرب فى أسمائها وأسماء آلتها ليقف من احتاج الى معرفة شىء من ذلك عليه

ثم رأيت أن أقدم ذكر ما قد جاء فى ذلك من الرخص ليعلم من استعمل شيئاً من هذه الملاهى أن الامر فيها بحمدالله سهل وأنها ليست بحرام[2] •

فمن ذلك ما حدثنا عمر بن شبة[3] ومحمد بن شداد المسمعى المعروف

---

(١) لا تزال الشعوبية تنكر كل فضل للعرب ، وتعد الغناء بعيدا عنهم•
(٢) قال ابن عبدالبر اجازه عامة أهل الحجاز ، وكرهه عامة أهل العراق• وحجة من أجازه ان أصله الشعر وأجازه الرسول (ص) وهو ديوان العرب• وذكر أحاديث مروية • ولعل العراقيين كرهوا الغناء لما جر اليه من انهماك فى المعاصى ، وتوغل بلا انقطاع • وهكذا كرهه قوم على طريق الزهد فى الدنيا وملاذها • وأعدل الوجوه أن يكون سبيله سبيل الشعر ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح • (العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٠-٢٣٢) وعندى مخطوطات فى جوازه وتحريمه كما أن خزانة برلين تحوى جملة • ومثلها فى كشف الظنون•
(٣) هو أبو زيد النميرى• كان عدلا حافظا عالما بالسير وأيام الناس• (النبراس ص ٢٩ و١٠٦) توفى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٢٦٢ هـ - ٨٧٦ م (الشذرات ج ٢ ص ١٤٦) والفهرست ص ١٦٣ ، وابن خلكان ج ١ ص٢٧٨ والخطيب البغدادى ج ١١ ص ٢٠٨ • وله تصانيف منها أخبار المنصور •

بزرقان[١] المتكلم . قال محمد بن شداد سألت أبا عاصم وقال عمر بن شبة سئل أبو عاصم النبيل[٢] عن القراءة على الغناء وقيل له ان سفيان بن عينة[٣] يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يتغن بالقرآن فليس منا ، انه من الاستغناء فقال أبو عاصم : ما صنع شيئاً ، أخبرنا ابن جريج[٤] قال سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال وما بأس بذلك[٥] حدثنا عبدالله بن عمير الليثي[٦] انه كانت لداود نبي الله عليه السلام معزفة اذا قرأ ضرب بها فيبكي ويبكي .

ذهب أبوعاصم (الى) أن التغني بالقرآن مد الصوت فيه وتحسينه. وذهب سفيان الى الاستغناء به عن كل دواء والتغني يكون من الشعر والمال فمن الشعر قول حسان :

تغن بالشعر اما كنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار[٧]

المضمار ها هنا مثل . لان المضمار للخيل اصلاحها وتعريفها ورياضتها حتى تستوي . فشبه اصلاح الغناء لوزن الشعر بذلك . وقال الآخر في التغني من المال :

كم من غنيٍّ رأيت الفقر أدركه ومن فقير تغنّى بعد اقلال

---

(١) توفي سنة ٢٧٩ هـ تاريخ الخطيب (ج ٥ ص ٣٥٣) .

(٢) هو الضحاك بن مخلد بن شيبان مات سنة ٢١٢هـ (المعارف ص١٧٧) .

(٣) ولد سفيان سنة ١٠٧هـ ومات سنة ١٩٨ هـ (المعارف ص١٧٣) .

(٤) أبو الوليد ابن جريج . ولد سنة ٨٠ هـ ومات سنة ١٥٠ هـ (المعارف ص ١٦٧) .

(٥) العقد (ج ٣ ص ٢٣١) .

(٦) في العقد الفريد رواية أخرى ج ٣ ص ٢٣٢ وورد عبيد ابن عمير الليثي . وهو أول من قص بمكة ، وعبيد كان قاضي مكة . توفي سنة ٦٨ هـ . ومات ابنه عبدالله بن عبيد بن عمير سنة ١١٣ هـ . (المعارف لابن قتيبة ص ١٥٠ و١٨٨) .

(٧) لم نعثر عليه في ديوانه . واخباره في الاغاني ج ٤ ص ١٣٤ طبع ديوانه في مصر وفي أوربا والهند . توفي سنة ٥٤ هـ .

وحدثنا يعقوب بن اسحق المعروف بابن أبى اسرائيل[١] قال حدثنا أبو بكر بن منصور بن سيار قال حدثنا يونس بن محمد المعلم قال حدثنا أبو أويس عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس عن عكرمة[٢] عن ابن عباس[٣] رضي‌الله قال : مرّ النبى صلى‌الله عليه وسلم بحسان وقد رش فناء أطمه ومعه أصحابه سماطين وجارية له يقال لها شيرين معها مزهر تختلف به السماطين وهى تغنيهم فلما مر النبى عليه السلام ولم يأذن لهم ولم ينههم فانتهى اليها وهى تقول :

هل على ويحكما ان لهوت من حرج

قال فتبسم النبى صلى‌الله عليه وسلم وقال لا حرج عليك ان شاءالله[٤] .

وحدثنا يعقوب هذا حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا أبو سلمة التبوذكى[٥] قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران أن ابن عمر دخل على عبدالله بن جعفر ذى الجناحين فاذا عنده (بربط) فقال يا أبا عبدالرحمن ان علمت ما هذا فلك كذا وكذا قال فنظر اليه ساعة وقلبه وقال أنا أبو عبدالرحمن : ميزان رومى ![٦] .

وروى عن ابن ابراهيم بن سعد صاحب المغازى انه قال ان فكرتى لتطول فى أهل العراق وتحريمهم الغناء ، وتحليلهم المسكر لقد شهدتنى فى

---

(١) ترجمه الخطيب البغدادى (ج ١٤ ص ٢٩١) .

(٢) هو ملك لابن عباس (رض) . وان على بن عبدالله بن عباس كان يقول يكذب على أبى . ويرى رأى الخوارج ، مات سنة١٠٥هـ . وبلغ ٨٠ سنة . (المعارف ص ١٥٨) .

(٣) عبدالله بن عباس توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ – ٦٨٧ م . ترجمته فى النبراس ص ٩

(٤) وفى العقد ج ٣ ص ٢٣١ رواية أخرى .

(٥) أبو سلمة موسى بن اسماعيل التبوذكى . مات بالبصرة سنة ٢٢٥ هـ (المعارف ص ١٧٨) . ورد فى الاصل (نبوذكى) وصوابه بالتاء .

(٦) العقد الفريد أوسع (ج ٣ ص ٢٣٣) وفيه بعض النقص والرواية فى العقد عن اسحاق عن ابراهيم رأسا . والظاهر ان لفظ (ابن) زائدة .

مسجد من مساجد الانصار مع أبى وتذاكروا الغناء فقالوا وهم زهاء عشرة اذهبوا بنا الى جارية الاوسى فقاموا وقمت معهم حتى دخلنا منزل مولى الجارية فرحب بهم ، وقال ما بى حاجة أن أسأل عن مجيئكم فيما هو ؟ ثم دخل بعض منازله هنيئة فاذا جاريته التى قصدنا لها قد خرجت معها عودها فسلمت وقعدت فأول ما سمعت من الغناء لفى ذلك اليوم فتغنت :

ألما نسأل المنز ل والربع الذى أقوى

عفته الريح والقطر فأمسى دارس المغنى

قال فلم يبق شيخ الا قام . وفى كواء البيت دفوف مربعة فأخذوها وأخذ بعضهم طبلاً فعلقه فى عنقه فارتجت الدار وما حولها ودخل مشايخ الحى علينا فكنا فى شيء لو حضره أيوب وابن عون لكفا وقصرا عن تحريمه فلما ثوب المنادى بالصلاة نهضوا الى مجالسهم ما علمت أن أحدا منهم تحوب مما كان فيه وما فى القوم الا شريف أو فقيه أو مرغوب أو مرهوب منه .

وكان ابراهيم بن سعد يضرب بالعود ويغنى[1].

وحدثنا يعقوب بن اسحاق هذا قال حدثنا داود بن رشيد والحسن ابن شبيب قالا أخبرنا اسمعيل بن عياش قال حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله عن محمد بن عمرو عن عطاء بن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قال لقد ضرب بالدف وغنى على عهد عبدالرحمن بن عوف ليلة أملك . حدثنا يعقوب هذا قال حدثنا القعنبى[2] قال حدثنا خالد بن الياس عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أظهروا النكاح وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يضرب عليه بالدف .

وانما أردت ذكر الملاهى .

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٣ .

(٢) هو عبدالله بن مسلمة بن قعنب الحارثى . أبو عبدالرحمن مات يوم الخميس ٦ المحرم سنة ٢٢١ هـ بمكة وكان من أصحاب الحديث . (المعارف لابن قتيبة ص ١٧٨) وتاريخ الخطيب ج ٨ ص ٤٨٤ وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٤ .

فأما الغناء فان الرخص فيه كثيرة • لو أردت ذكرهـا لطال الكتاب • وانما غرضى فيه ذكر الملاهى فقط • وأنا ذاكر من ذلك ما أرجو أن يكون فيه مقنع ان شاءالله •

ذكر هشام ابن الكلبى[١] أن أول من عمل العود فضرب به رجل من بنى قابيل ويقال قابين[٢] بن آدم • يقال له لمك[٣] • وكان عمر زماناً طويلاً ولم يكن يولد له فتزوج خمسين امرأة وتسرى بمائتى سرية فولدت له جاريتان يقال لأحدها (صلاء) وللاخرى (بم) • ثم ولد له غلام قبل أن يموت بعشر سنين ، فاشتد فرحه ، فلما أتت على الغلام خمس سنين مات ، فجزع عليه جزعا شديدا ، فأخذه فعلقه على شجرة ، فقال لا تذهب صورته عن عينى حتى يتقطع أشلاء أو أموت • فجعل لحمه يقع عن عظامه حتى بقيت الفخذ بالساق والقدم والاصابع فأخذ عودا فشقه ورققه وجعل يؤلف بعضه على بعض فجعل صدره على صورة الفخذ والعنق على صورة الساق والابزيم على قدر القدم والملاوى كالاصابع وعلق عليه أوتارا كالعروق •

ثم جعل يضرب به ويبكى وينوح حتى عمى فكان أول من ناح • وسمى الذى اتخذ (عوداً)[٤] • لأنه اتخذ من عود • وكانت (صلاء) احدى

---

(١) توفى سنة ٢٠٤ هـ • قال فى الشذرات فيه رفض، متروك الحديث •

(٢) قابين ، ورد بالباء • والمشهور قابيل باللام • جاء بهذا اللفظ فى التوراة •

(٣) ومثله ورد فى غاية الوسائل فى معرفة الاوائل لعلى بن هبةالله ابن باطيش قدمه للاتابك الملك الرحيم شهاب الدين طغرل بك • ونسخته فى خزانة السلطان احمد الثالث برقم ٢٩٥٧ كتبت سنة ٨٨٥ هـ وهـذه غير محاسن الاوائل تاليف محمد بن عبدالله الشبلى فى خزانة ولى أفندى برقم ٢٤٤٨ •

(٤) العود (باربد) عرب بلفظ (بربط) • مر ذكره • ذكر المؤلف أول من عمله دلالة على القدم • نقلنا فى النظرات السريعة روايات أخرى • وبين المؤلف أجزاء العود وما يتركب منه • ولم يتعرض المصنف الى ذكر أول من ادخله بلاد العرب • وفى غاية الوسائل ان العرب لم تكن تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدالدار ابن مناف بن قصى العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه ، فقدم مكة فعلم أهلها واتخذوا القيان •

ابنتيه أول من عمل (المعازف) و(الطبول) • قال :

وأما (الطنابير) فأول من عملها قوم لوط كان اذا أعجبهم الغلام الأمرد استمالوه بذلك يضربون له بالطنبور • وأما (المزامير) وكل ما ينفخ به فانما عملته بنو اسرائيل على حلق[١] داود عليه السلام الا (القصبة) التي يصفر فيها فان الأكراد أول من اتخذها • كانوا اذا تفرقت عنهم غنمهم صفروا لها فاجتمعت • وأول من اتخذ (الدفوف) العرب •

وأول من اتخذ (قينة) رجل من العرب العـــاربة وكانت له قينتان يقال لهما الجرادتان وهما اللتان يضرب بهما المثل فيقال صار حربا للجرادتين وذلك أن عادا لما حبس الله عنهم المطر وكانوا ينزلون ما بين الشحر وحضرموت فبعثوا وفدهم الى مكة يستـــسقون لهم فنزلوا على معاوية بن بكر لأنه كان صهرا لهم فشغلوا بشرب الخمر وسماع الجرادتين عن الاســتسقاء فلمـــا رأى ذلك معاوية قال شعرا وأمر قينتيه فتغنتا به فلما ســمعوه ذكروا قومهم فقاموا فاستسقوا وقد ذكرت حديثهم فى كتابى المسمى بالفاخر[٢] •

ولم تزل العرب أصحاب لهو وغزل وحب للسماع وميل اليه وكانوا يســمون القينة الكرينة ويســمون العود (الكران) و(المزهر) و(البربط) و(الموتر) وبكل هذه الاسماء قد جاءت أشعارهم • ومن أسمائه التى لم تأت فى الشعر وانما سمى فى الحديث (العرطبة)[٣] • وقال امرؤ القيس :

---

(١) عد فى كتاب النغم (الحلق) من آلات النغم وعنى بها المزامير عند بنى اسرائيل كما هنا الا أن الناشر لكتاب النغم توهم انها (العنق) لمجرد المقاربة ظنها مصحفة منه فجاء هذا النص كاشفا للغلط ، مصححا لما ورد فى التعليق • وراجع ص ١١٦ ج ١ مجلة المجمع العلمى العراقى لسنة ١٩٥٠م فالآلات الزمر يقال لها الحلق أو حلق داود (ع) •

(٢) كتاب الفاخر فى لحن العامة للمؤلف • ذكره فى كشف الظنون وغيره •

(٣) هذه مترادفات العود • والبربط ، العود كما هنا • وهو بوزن جعفر • معرب من الفارسية من (باربد) • ومعناها صدر البطة • ومنهم من عربها بـ (بربد) والاول هو الشائع • وجاء فى كتاب النغم (باربد) ص ١١٥ المجمع العلمى العراقى الجزء الاول من مجلته • تابع الخوارزمى ولم يبـــال بالتقاء الساكنين •

فان أمس مكروبا فيارب قينة　　منعمة أعملتها بكران
لها مزهر يعلو الخميس بصوته　　أجش اذا ما حركته يدان

الخميس ها هنا الجيش ، والخميس أيضا اسم صنم ، والخميس ايضا ضرب من الثياب • فى الحديث ائتونى بخميس أو لبيس • وقال لبيد ابن ربيعة :

أغلى السباء بكل أدكن عاتق　　أوجونة قدحت وفض ختامها
بصبوح صافية وجذب كرينة　　بموتر تأتاله ابهامها

تأتاله تفتعله من الت الشىء أصلحته ، والسباء شراء الخمر يقال سبأت الخمر اشتريتها ، وأدكن يعنى دنا ، والجونة الخابية ، والجون الابيض ، والجون الأسود ، وقدحت فض عنها طينها • وقوله تأتاله تسوسه وتقوم عليه ، والايالة حسن القيام على المال • وقال أعشى بنى قيس وهو جاهلى :

جالس حوله الندامى فما ينـــفك يؤتى بمزهر مجدوف

مجدوف : أى مضروب به ، ويروى بموكر زق فهو مقطوع الاكارع• وقال أيضا :

وبربطنا دائم معمل　　فأى أولئك أزرى بها

أى أولئك يعنى أصناف الملاهى لأنه ذكرها • ويقال لأوتاره (المحابض) واحدها (محبض) وهى (الشرع) واحدتها شرعة • فمنها (الزير) والذى يليه (المثنى) ومنهم من يسميه (الثانى) • و(المثلث) ومنهم من يسميه (الثالث) • و(البم) • ويقال للتى يسميها الفرس الدساتين[1] (العتب) وكل

---

(١) الدساتين وأحدها دستان • ويعرف اليوم بـ (دوزن) • لا يزال مستعملا • والعرب تسميه (العتب) • ثم شاع (دستان) • فاهمل اللفظ العربى وحل محله الفارسى وهى العيدان المعروضة على وجه العود او الرباطات التى توضع عليها الاصابع ويقال لها (الملاوى) • واطلاقها على موضع عقف الاصبع على الوتر تجوز • وما قاله المؤلف موافق لما فى القاموس واللسان • ودساتين العود تنسب الى الاصابع التى توضع عليها •

ذلك قد جاء في الشعر . قال تميم بن أبي بن مقبل :

صدحت لنا جيداء يركض ساقها عند التجار مجامع الخلخال
فضلا ينازعها المحابض[1] رجعها بأحد لا صحل ولا مصحال

صدحت غنت والصدح رفع الصوت . ويروى لا قطع ولا مصحال .
وتركض تدفع . ومجامع الخلخال أي موضع مجامع الخلخال يعني ذيلها ،
والتجار الخمارون ها هنا . وقوله فضل أي في ثوب بذلة ، والاحد الخفيف
يعني عودا والصحل والمصحال الذي ليس بصا في الصوت والصحل البحوحة
في الصوت . وقال ابن هرمة :[2]

كما ازدهرت قينـة بالشراع لأسوارها عل منها اصطباحا

وقال الأعشى :

وثنى الـكف عـلى ذي عتب يصل الصوت بذي زير أبح

وقال الصقعب بن حيان التغلبي :

وقـرب الخرد من قيـانه عودا له الفضل على عيـدانه
أخف عنـد الحمل واحتضانه من ريشـة توضع في ميزانه
أخرس تلقـاه على بيـانه كرامـة المجلس في هـوانه

قومه روح على ضغانه

روح اسم المغني . الضغان أن يكون في النفس شيء فلا ينقال لما يراد منه .

للقصد بعـد الزيغ واعتنانه فردد الـكف على جنانه

الزيغ الميل ، والاعتنان أن لا يستقيم على وجه واحد .

تردد الهـربد في بسـتانه وشـرف الخنصر من بنـانه

---

(١) أطلقها على مجموع أوتار العود . ويقال لها (الشرع) واحدتهـا شرعة . ثم سمي كل واحد باسمه المعروف به وذكر مرادف المحبض .
(٢) ابن هرمة . أخباره في الاغاني ج ٤ ص ٣٦٧ .

تشرف اللص على جيرانه ... واعتمد الزير على ارنانه
وحافظ الثانى على رهانه ... وجمح الثالث فى ميدانه
وبربر البم على أقرانه ... بربرة الشيخ على صبيانه

البربرة صوت فيه غلظ وسرعة .

هناك زال الهم عن أخدانه ... حتى ترى النشوان فى قمصانه
يزحف قد ألقى بطيلسانه ... تزحف الشاه على فرزانه

وقال أبو الهندى :

اذا سوت الزيرين والمثلث الذى ... على دون بيت البم والبم يضرب
رأيت ليمناها على البم سرعة ... وتحسب يسراها على العتب تحسب
ومزمار أخرى حين ينفخ يعتلى ... جوابا لقرع العود والعود يصخب

أراد العتب فخفف[1] . ومن الملاهى الطنبور وهو الدريج والون .
وقال ذو الرمة[2] :

يضحى بها الارقش الجون القرا غردا ... كأنه زجل الأوتار مخطوم
من الطنابير يزهى صوته ثمل ... فى لحنه عن لغات العرب تعجيم

القرا الظهر ، ويزهى يرفع والارقش السفط يعنى الجندب يصوت فى الحر وزجل شديد . وقال آخر :

ودريجنا دائب معمل ... يجاوبه الدف والمزهر

وقال الاعشى :

---

(١) ذكر هنا اسماء الاوتار وأعاد ذكر العتب وكان المؤلف بين اسماء الاوتار على ترتيبها . وفيه توضيح لم يبق ترددا فى المصطلح . يحتاج الى شرح . وقوله (وتحسب يسراها على العتب تحسب) أى أن أصابع اليسرى توضع على الدساتين لا على الوتر كما توهم المجمع اللغوى فى مصطلحاته للموسيقى . ولعله أراد التوسع فى المدلول . كما فى مجلة المجمع العلمى العراقى ج ١ ص ١١٥ .

(٢) ذو الرمة توفى سنة ١١٧ هـ . طبع ديوانه . واخباره فى الاغانى .

ومشتق صينى وون وبربط — يجاوبه صنج اذا ما ترنما

وقال الراعى :

وطنبور أجش وريح ضغث — من الريحان يتبع الشؤونا

الضغث القطع من الريحان والشؤون أصول شعب الرأس واحدها شان ويقال انها مجارى الدمع فأراد رائحة الريحان يبلغ هناك من حدته وطيبه . ومن الملاهى المزمار والمزمر والزمارة والناى والعران والقصاب والمشتق ويقال له أيضا مشتق صينى وهو فارسى معرب يقال له مشته صينى أى يؤخذ باليدين . واليراع المزمار المعمول من قصب له[1] الربيق[2] والهنبقة[3] وقال أبو البيداء :

اسقنى يا زبير بالقرقارة — قد طربنا وحنت الزمارة

وقال أبو التيحان :

هل الى سكرة بسافنة الـ — كوفة شنعاء يا قبيص سبيل
وأبو التيحان فى كفه القر — عة والرأس فوقه اكليل
وعران كأنه بيدق الشط — رنج يفتن فيه قال وقيل

يفتن يأخذ فى فنون منه وهو الضروب .

وقال الاعشى :

وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات بقصابها

---

(١) صوابها (ويقال له) ليأتلف المعنى . والظاهر أنها سقطت من الناسخ .

(٢) الربيق صوابها (الزنبق) . جاء فى تاج العروس نقلا عن التهذيب : قال أبوعمرو : الزنبق الزمارة . وقال أبو مالك : المزمار . (تاج العروس ج ٦ ص ٣٧٣) .

(٣) قال فى التاج : الهنبوقة بالضم المزمار ... وقال الازهرى : قال ابو مالك : الهنبوق المزمار والجمع هنابق . ولم يرد لفظ (هنبقة) ج ٧ ص ٠٩٧

الجل الورد وهو فارسي معرب أخذه الاعشى من الفرس لانه يهب الى كسرى . وقال والبة بن الحباب :

ويراع وصـــوت دفـــ ونای ومزهر
ومغن والـــدر من فيـــه للشرب ينثر

وقال آخر يصف نايا :

وان حركته الريح أسبل صوته وحن كما حن اليراع المثقب

وقال الملوط القريعي :

وحنت بقاع الشام حتى كأنما لاصواتها في منزل القوم زنبق(١)

وقال الأحوص(٢) :

يرد أنابيب الحنين جرانهـــا كما ارتج رجس في زنابق زمجر

والزمجر الأجوف يريد القصب الذي يزمر به .

وقال

ورجع في حيزومه غير ناغم رغاء من الاحشاء جوفا هنابقه(٣)

لم ينغم للهدير وانما نغم للضجر . ومن الملاهي الطبـــل وهو الكبر والكوبة ومنه حديث عبدالله بن عمرو قال نهى رسول‌الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر ويقال للنرد بلغة أهل اليمن الكوبة والغبيراء شراب يعمل من الذرة وهي السكركة بلغة الحبشـــة وقال الشـــاعر :

فاذا حنت المزامـــير والمز هر تسـمو بصوته الأوتار
وتغنى الشـــادي المغرد لمـا جاوبتهـــا الدفوف والأكبار

---

(١) جاء هنا زنبق مؤيدا للتصحيح المذكور في أول البحث .
(٢) الاحوص . أخباره في الاغاني ج ٤ ص ٢٢٤ .
(٣) الظاهر أن مفردها ما ورد في تاج العروس (هنبوقة) والا احتجنا الى ما يبرهن على صحة ورودها . وان المؤلف من أئمة اللغة الا انه لم‌يستشهد على ذلك . بصيغة المفرد وما ذكر جاء جمعا .

الشادى المغنى ، والشدو الغناء ، والشدو فى غير هذا الابتداء بالاخذ من الشىء :

أمطرتنا الأقداح شج سرور   ونأتنا الهموم والافكار

ويقال هو الدف والدف والكنارة ويقال (الكنارة) من أسماء العود وقال عمرو بن الاطنابة[١] :

عللانى وعللا صاحبيا   واسقيانى من المدامة ريا

ماأبالى اذا اصطبحت ثلاثا   أرشيدا دعوتنى أم غويا

ان فينا القيان يعزفن بالـ   دف لفتياننا وعيشاً رخيا

وأما المعزفة[٢] فلم تكثر عند العرب وانما يعزف بها أهل اليمن من ملوك صنعاء والجند ونجران وتبالة وجرش فلذلك ليس لها الا اسم واحد . واول من يقال انه بدأ بالعود وناح به لمك ، وأول من غنى فى العرب الجرادتان[٣] ثم غنى جذيمة بن سعد الخزاعى وكان أحسن الناس صوتا فسمى المصطلق لحسن صوته وأول من غنى من أهل اليمن رجل من حمير يقال له عبس فسمى لحسن صوته (ذاجدن).وأول من حدا مضر بن نزار وذلك أنه سقط من بعير له فاندقت يده وتفرقت عنه ابله فجعل يقول يا يداه يا يداه وكان حلقه حسنا فاجتمعت ابله فحدت العرب على ذلك المثال[٤] . وكان الغناء عند العرب على

---

(١) الاغانى ج ١٠ ص ٣٠ وج ١٦ ص ١٤ .

(٢) وفى غاية الوسائل : كان غناء أهل اليمن بالمعازف . وايقاعها جنس واحد . وغناؤهم جنسان حنفى وحميرى . والحنفى أحسنهما . وهنا أوضح .

(٣) وفى غاية الوسائل : كانتا قينتين ، وكانت العرب تسمى القينة (الكرينة) .

(٤) وهذا هو (النصب) كما يسمى بـ (الحداء) . وقيل ان أول من حدا به رجل من مضر . وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى ان الحداء هو (النصب) . وهو الغناء الجنابى اشتقه رجل من كلب يقال له (جناب ابن عبدالله بن هبل) فنسب اليه . ومنه كان أصل الحداء كله . يخرج من الطويل فى العروض (كتاب الاسفار عن العلوم والاسفار) . مخطوط عندى نسخته بخط مؤلفه المرحوم محمد جميل العظم .

ثلاثة أوجه : النصب والسـناد ، والهزج . فأما النصب فغناء الركبان وهو الذي يقال له (الميرائى)[١] يغنيه الفتيان[٢] . وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع والنغم والنبر . وأما الهزج فهو الخفيف الذي يمشى عليه ويلهى ويستخف الحلقوم . وكان غناء أهل اليمن يدعى الحبقى[٣] .

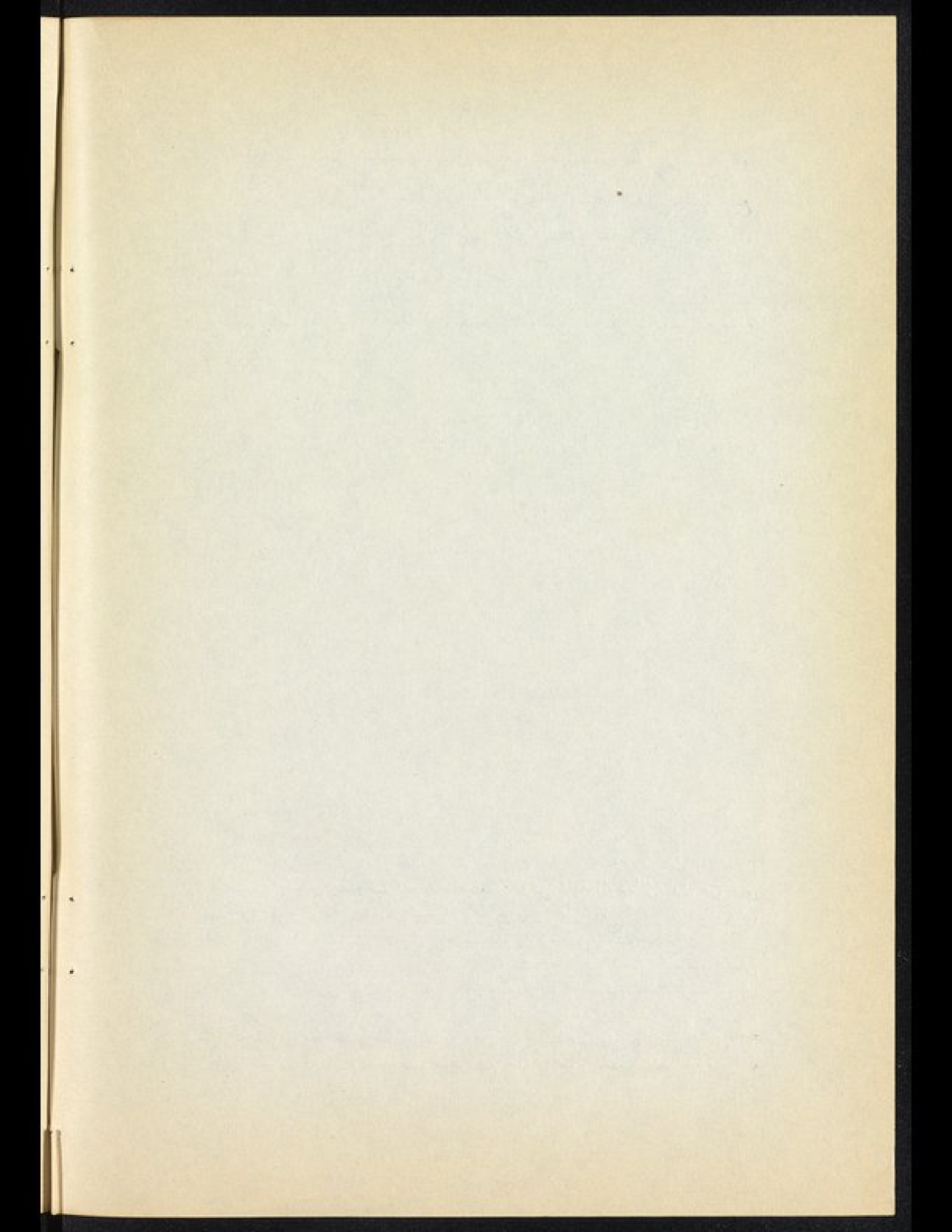
تم كتاب الملاهى والحمد لله وحـده وصلى الله على محمد نبيه وآله الطاهرين وسـلم تسـليما .

---

(١) لعله المرائى . فلم أجد لما ذكره المؤلف أصلا .

(٢) فى خلواتهم . كذا جاء فى مؤلفات عديدة . وورد بدل (الفتيان) القينات . وليس بصواب فهو تصحيف . وفى غاية الوسائل أول من غنى به رجل يقـال له أحمد النصبى الهمدانى من أهل الكوفة . كان يغنى فى اشعار أعشى همدان ... وترك النصب فلم يذكر حتى أعاده جحظة .

(٣) الحبقى لم تعرف فى كتب اللغة . وجاء فى لسان العرب الحبقى بكسر الاول والثانى نوع من المشى دون الدفقى ، وجاء فى غاية الوسائل ان غناء أهل اليمن كان بالمعازف . وايقاعها جنس واحد . وغناؤهم جنسان : حنفى وحميرى ، والحنفى أحسنهما . وفى مروج الذهب مثل ذلك ج ٨ ص ٩٣ وهو الاصوب . فان التصحيف ظاهر فى حنفى فصار حبقى غلطا ...



الملحق الثاني

نبـذة

في اللهو والملاهي

لابن خرداذبة

منقولة من كتاب مروج الذهب
للمسـعودي

بتعليـــق
عباس العزاوي المحامي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

كانت رغبة الامة عظيمة فى حب العلوم والآداب تعادل قوة ميلها الى الفتوح وزيادة . ونشط الخلفاء هذه الرغبة ، فصارت أقوى وأشد . وهكذا كان الانصراف الى الفنون الجميلة ومنها الموسيقى . ولم يكن السبب الرئيسى للخلفاء فى هذه الحماية وتلك الرعاية تطوح فى الملاذ وانهماك فى الملاهى ، أو أمل فى ارتكاب المعاصى ...!

ولعل الانغمار جاء فى الاغلب مؤخراً عن تمكن رجال الدولة وتغلبهم أو استئثارهم فى الادارة فتحكموا ، وغلوا أيدى الخلفاء لا سيما بعد أن رأى هؤلاء المتغلبة أن الخلفاء مسوقون بدعاية معاكسة ، وبنضال لتولى الحكم ، فوجدوا من أولئك قسوة ، فلم يبق للخلفاء الا طريق الركون الى الملاذ والملاهى . انصرفوا اليها ومالوا عن التفكير فى السياسة والادارة . ومن شذ أصابه ما أصابه وهكذا شأن من تلا .

وفى الحالتين نالت الموسيقى خاصة تكاملاً . وفى المائة الثالثة قص لنا التاريخ ان المعتمد على الله دامت خلافته من سنة ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م الى سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩١ م . وفى أيامه كانت قد اضطربت الاحوال لا سيما بعد وفاة أخيه الموفق طلحة ، واختلت الادارة من جراء تغلب الموالى . أهمل الرعية. ولم يقدم من فيه شروط التقدمة[١] . وقد خرج الاختيار من يده . وكان كتب الجهشيارى كتاباً فى أخباره ، فلم يصل الينا . وقال المسعودى فى مروج الذهب : « كان مشغوفاً بالطرب . والغالب عليه المعاقرة ، ومحبة أنواع اللهو ... » اهـ[٢] .

---

(١) النبراس فى خلفاء بنى العباس لابن دحية الكلبى ص ٩٠ طبع ببغداد .
(٢) مروج الذهب ج ٨ ص ٨٩ طبعة باريس .

والتغلب أصل البلاء . شل أيدى الخلفاء ، فمالوا الى اللهو . فلم يكن الدواء الشافى بل كان بئس الدواء . وان أدى الى تقـــدم الموسيقى ، وظهور التدوينات فيها ، أو ساق الى تكاملها .

جرى لهذا الخليفة حديث فى مجلس له . سأل ابن خرداذبه أن يوضح له عن العود وأصله ، فذكر ما علم ، وكشف عن صفحة . ولعله وسع بحثه فى كتابه (اللهو والملاهى) . ولم نعثر عليه . وهذه المحاورة نبذة منـــه على ما يظهر وأضاف المسعودى اليها ما أراد الخليفة اضافته من بحث (الرقص) .

كتبت هذه النبذة وألحقتها باقتراح من الصديق الاستاذ كوركيس عواد بأمل أن تكون مجموعة شاملة لصفحات تاريخية تمثل مختلف الازمان .

وأعيد القول بأن الآراء متعارضة فى الموسيقى فى القبول والرد . ويغلب أمر الانهماك وســـوء الامثولة فى المجاهرة بالمعاصى وأن يأتى المرء ما يخل بالشرف ويكون قدوة سيئة . والا فليس فى أصل الموسيقى ما يدعو للخلاعة . ومن أقوى من كتب فى موضوع الجواز والحرمة أبو محمد عبدالله بن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ هـ – ١٢٢٣ م . والافراط والتفريط أصل العناء وأصل ما يترتب من حل وحرمة . والله ولى الأمر .

عباس العزاوى

نبـذة

في اللهو والملاهى

منقولة من مروج الذهب للمسعودى

قال المسعودى : « كان المعتمد مشغوفاً بالطرب . والغالب عليه المعافرة ، ومحبة أنواع اللهو والملاهى . وذكر عبيدالله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى فقال له : أخبرنى عن أول من اتخذ (العود) .

قال ابن خرداذبه :

قد قيل في ذلك ـ يا أمير المؤمنين ـ أقاويل كثيرة . أول من اتخذ (العود) لمك بن متوشلح بن محويل بن عباد بن خنوخ بن قاين بن آدم . وذلك انه كان له ابن يحبه حباً شديدا ، فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقى منهـــا فخذه والساق والقدم والاصابع ، فأخذ خشباً فرققه ، وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ ، وعنقه كالساق ، ورأسه كالقـدم ، والملاوى[1] كالاصابع ، والاوتار كالعروق .

ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود . قال الحمدونى :

وناطق بلســـانٍ لا ضمير له ... كأنه فخـــذ نيطت على قدم

يبدى ضمير سواه فى الحديث كما ... يبدى ضمير سواه منطق القلم

واتخذ توبل (توبال) بن لمك (الطبول) و(الدفوف) . وعملت ضلال بنت لمك (المعازف)[2] .

ثم اتخذ قوم لوط (الطنابير) يستميلون بها الغلمان . ثم اتخـــذ الرعاة والاكراد نوعاً مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا ، فاجتمعت .

---

(١) الملاوى الدساتين .

(٢) لمك واولاده وردوا فى التوراة كما ذكرت آلات الموسيقى فيها .

ثم اتخذ الفرس (الناى) للعود و(الديانى) للطنبور ، و(السريانى) الطبل ، و(السنج) للصنج .

وكان غناء الفرس بالعيدان ، والصنوج . وهى لهم . ولهم النغم والايقاعات ، والمقاطع والطروق الملوكية ، وهى سبع طروق . فأولها (سكاف) وهو أكثرها استعمالاً لتنقل الانهار . وهو أفصحها مقاطع ، وأمرسه . وهو أجمعها لمحاسن النغم ، وأكثرها تصعداً وانحداراً .

و(مادارو سنان) وهو أثقلها . و(سايكاد) وهو المحبوب للارواح . و(سيسم) وهو المختلس المثقل . و(حويمران) وهو الدرج الموقوف على نغمة .

وكان غناء أهل خراسان وما والاها (بالزنج) . وعليه سبعة أوتار . وايقاعه يشبه ايقاع (الصنج) . وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم (بالطنابير) . وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى . وكان غناء النبط والجرامقة (بالغيروارات) وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير .

وقال فندروس الرومى : جعلت الاوتار أربعة بأزاء الطبائع فجعل (الزير) بأزاء المرة الصفراء و(المثنى) بأزاء الدم ، و(المثلث) بأزاء البلغم ، و(البم) بأزاء المرة السوداء .

وللروم من الملاهى (الارغن) . وعليه ١٦ وتراً . وله صوت بعيد المذهب . وهو من صنعة اليونانيين . و(السلبان) وله ٢٤ وتراً وتفصيله ألف صوت . ولهم (اللورا) . وهى (الرباب) وهى من خشب . ولهاخمسة أوتار . ولهم (القيثارة) ولها ١٢ وتراً . وله (الصلنج) وهو من جلود المجاجيل .

وكل هذه معازف مختلفة الصنعة .

ولهم (الارغن) . وهو ذو منافخ من الجلود والحديد .

وللهند (الكنكلة) • وهى وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج •

قال :

وكان (الحداء) فى العرب قبل (الغناء) • وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول : يا يداه يا يداه • وكان من أحسن الناس صوتاً فاستوسقت الابل وطاب لها السير ، فاتخذه العرب (حداء) برجز الشعر • وجعلوا كلامه أولاً يحدى به • فمن قول الحادى :

يا هاديا يا هاديا و يا يداه يا يداه

وكان الحداء أول السماع ، و(الترجيع) فى العرب • ثم اشتق (الغناء) من الحداء وتحن نساء العرب على موتاها ، ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب • وكان غناؤهم (النصب) ثلاثة أجناس : (الركبانى) ، و(السناد الثقيل) ، و(الهزج الخفيف) •

وكان أول من غنّى من العرب (الجرادتان) • وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملقى • وكانت العرب تسمى القينة (الكرينة) ، والعود (المزهر) • وكان غناء أهل اليمن (بالمعازف) وايقاعها جنس واحد • وغناؤهم جنسان : (حنفى) و(حميرى) • والحنفى أحسنهما •

ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلاّ (النصب) حتى قدم النضر ابن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصيّ من العراق وافداً على كسرى بالحيرة ، فتعلم ضرب (العود) والغناء عليه ، فقدم مكة فعلّم أهلها ، فاتخذوا القينات • والغناء يرقّ الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ، ويسّرها ، ويشجع القلب ، ويسخى البخيل • وهو مع النبيذ تعاون على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطاً ، ويفرّجان الكرب •

والغناء على الانفراد يفعل ذلك . وفضل الغنـــاء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم . وقد قال الشاعر :

لا تبعثن على همومك إذ ثوت غير المدام ونغمة الاوتار

فلله در حكيم استنبطه ، وفيلسوف استخرجه . أىّ غامض أظهر ، وأىّ مكنون كشف ، وعلى أىّ فن دلّ . وعلى أى علم وفضيلة ســبق . فذلك نسيج وحده ، وقريع دهره .

وقد كانت الملوك تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور . وكانت ملوك الاعاجم لا تنام إلاّ على غناء مطرب . أو سهر لذيذ . والعربية لا تنوّم ولدها وهو يبكى خوفاً أن يسرى الهمّ فى جسده ويدبّ فى عرقه ، ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ، ويصفو لونه ودمه ، ويشف عقله . والطفل يرتاح الى الغناء ، ويستبدل ببكائه ضحكاً . وقد قال يحيى بن خالد بن برمك : الغنـــاء ما أطربك فارقصك ، وأبكاك فاشجاك . وما سوى ذلك فبلاء وهمّ .

قال المعتمد :

قد قلت فأحسنت ، ووصفت فأطنبت ، وأتمت فى هذا اليوم ســوقاً للغناء وعيداً لانواع الملاهى . وان كلامك لمثل الثوب الوشىّ يجتمع فيـه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان ! فما صفة المغنى الحاذق ؟

قال ابن خرداذبة : المغني الحاذق ـ يا أمير المؤمنين ـ من تمكن من أنفاسه، ولطف فى اختلاسه ، وتفرع فى أجناسه !

قال المعتمد :

فعلى كم تنقســم أنواع الطرب ؟

قال :

على ثلاثة أوجه ـ يا أمير المؤمنين ـ وهي طرب محرّك مستخف لاريحية، ينعش النفس ، ودواعى الشم عند السماع ، وطرب شجن وحزن لا ســيما

اذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب ، والشوق الى الاوطان ، والمرائى لمن عدم من الاحباب ، وطرب يكون فى صفاء النفس ، ولطافة الحس لا سيما عند سماع جودة التأليف ، واحكام الصنعة • اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسرّه ، بل تراه متشاغلاً عنه فذلك كالحجر الجلمد ، والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه •

وقد قال : ـ يا أمير المؤمنين ـ جمهور من الفلاسفة المتقدمين ، وكثير من حكماء اليونانيين : من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب• ومن غلظ جسمه كره سماع الغناء فتشاغل عنه وعابه وذمه •

قال المعتمد :

فما منزلة الايقاع ، وأنواع الطروق ، وفنون النغم ؟

قال : قد قال فى ذلك ـ يا أمير المؤمنين ـ من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء منزلة العروض من الشعر • وقد أوضحوا الايقاع ووسموه بسمات ، ولقبوه بألقاب • وهو أربعة أجناس :

ثقيل الاول وخفيفه • وثقيل الثانى وخفيفه ، والرمل الاول وخفيفه ، والهزج وخفيفه •

والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن • وما لم يوقع خرج من الوزن • والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة •

فالثقيل الاول نقرة ثلاثة ثلاثة • اثنتان ثقيلتان بطيئتان • ثم نقرة واحدة• وخفيف ثقيل الثانى نقرة اثنتان متواليتان وواحـــدة بطيئة ، واثنتان مزدوجتان •

وخفيف الرمل نقرة اثنتان اثنتان مزدوجتان ، وبين كل زوج وقفة • والهزج نقرة واحدة واحدة مستويتان ممسكة •

وخفيف الهزج نقرة واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدراً من الهزج •

والطرائق ثمـــان الثقيلان الاول والثانى وخفيفهما ، وخفيف الثقيل الاول منهما يسمى بـ (الماخورى) ، وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل . كان كثير الغناء فى هـــذه المواخير بهذه الطريقة .

والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم مطلق . ويختلف مواقع الاصابع فيها ، فيحدث لها ألقاب يميز بها كالمحصور ، والمخبول، والمحثوث ، والمخدوع ، والادراج .

والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعه أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الانسان . فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفـــة جانس الطبائع فأطرب . والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة .

وكل وتر مثل الذى يليه ، ومثل ثلثه . والدســـتبان الذى يلى الانف موضوع على خط التسع من جملة الوتر ، والذى يلى المشط موضوع على خط الربع من جملة الوتر .

فهذه ـ يا أمير المؤمنين ـ جوامع فى صفة الايقاع ، ومنتهى حدوده .

ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على (ابن خرداذبة) وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم . وكان يوم لهوٍ وسرور .

هذا ما نقله المسعودى فى تاريخه مروج الذهب .

ثم الحق بذلك (الرقص) . قال :

فلما كان فى صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضره فى اليوم الاول .

فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه ومغنيه : صف لى (الرقص) وانواعـــه ، والصفة المحمودة من الرقاص ، واذكر لى شـــمائله ؟

قال المسؤول : يا أمير المؤمنين أهل الاقالم والبلدان يختلفون فى رقصهم مثل أهل خراسان وغيرهم .

فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس : الخفيف ، والهزج ، والرمل ، وخفيف الرمل ، وخفيف الثقيل الثانى ، وثقيله . وخفيف الثقيل الاول وثقيله .

والرقاص يحتاج الى أشياء فى طباعه ، واشياء فى خلقه ، وأشياء فى عمله .

فأما ما يحتاج اليه فى طباعه فخفة الروح ، وحسن الطبع على الايقاع ، وأن يكون طالبه مرحاً الى التدبير فى رقصه ، والتصرف فيه .

وأما ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق ، والسوالف ، وحسن الدل ، والشمائل والتمايل فى الاعطاف ، ورقة الخصر ، والخفة ، وحسن أقسام الخلق ، وواقع المناطق ، واستدارة أسافل الثياب ، ومخارج النفس ، والاراحة ، والصبر على طول الغاية ، ولطافة الاقدام ، ولين الاصابع ، وامكان دينها فى نقلها ، وما يتصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص الكرة ، ولين المفاصل ، وسرعة الانتقال فى الدوران ، ولين الاعطاف .

وأما ما يحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى أنواع الرقص ، واحكام كل حد من حدوده ، وحسن الاستدارة ، وثبات القدمين على مدارهما ، واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحداً . ولوضع الاقدام ورفعها وجهان :

أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع ، والآخر أن يتثبط به . فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن ، فليكن ما يوافق الايقاع ، فهو من الحب والحسن سواء . وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن . فليكن ما يوافق الايقاع مترافعاً وما يتثبط به متسافلاً .

قال المسعودى : وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الادب[١] ...

هذا ما نقلناه من مروج الذهب . وذكر ابن خلدون الرقص . ومر بنا ايراد نصه .

ويهمنا أن نشير الى ان بعض الالفاظ فى هذه الرسالة لا تزال غامضة . ومنها ما نبه مترجم مروج الذهب الى اللغة الفرنسية عليها . وهى :

ديانى . دوناى . وهو (المطبق) أو كما يقول العوام مطبج .

سريانى . صورناى (زورنه) .

ســـنج . جنك .

ســيســم . شـشـم .

زنج . زنگ . ولعله (الونج) .

سـايكاد . سـيگاه .

لورا . لير Lyre

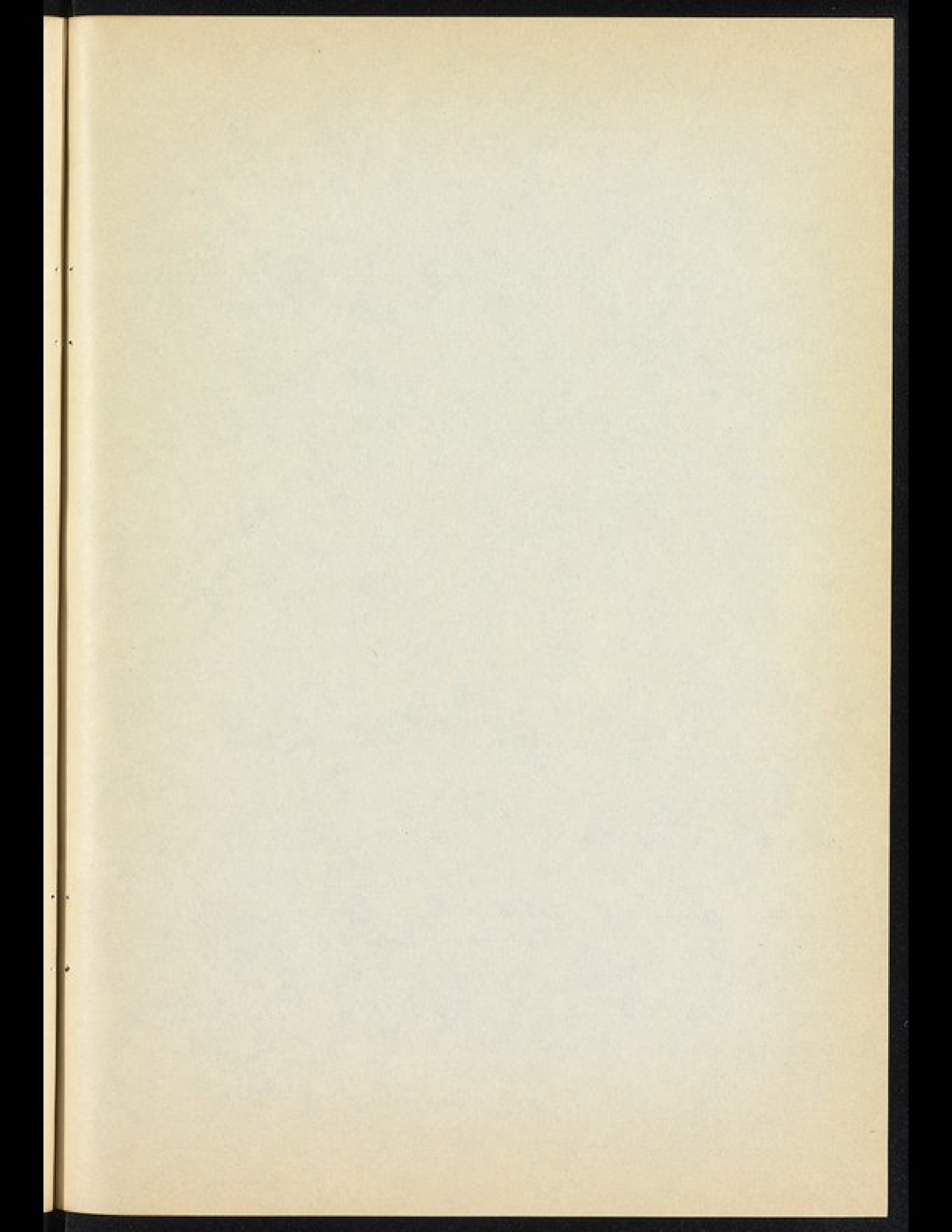
صلنج . صرنج .

أرغن . أرغنون Organon

و(حويعران) غير منقوطة و(ســكاف) وكلمات أخرى لا تزال غامضة أو غير معروفة .

---

(١) مروج الذهب ج ٨ ص ٨٩ .



الملحق الثالث

ارجوزة الانغام

لبدرالدين محمد بن علي الخطيب الاربلي

نظمهـــا

سنة ٧٢٩ هـ — ١٣٢٨ م

علق عليهـــا

عباس العزاوي المحامي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

هذه الارجوزة عثرت على نسختها المخطوطة المسماة (أرجوزة الانغام) المؤرخة فى ٢٢ ذى القعدة سنة ١١٢٠ هـ — ١٧٠٨ م ورأيت ما فى مجلة المشرق ج ١٢ ص ٨٩٥ باسم (جواهر النظام فى معرفة الانغام) . والتسمية الاولى جاءت فى صلب المنظومة . ومن مقابلة النسختين ظهرت لنا أكمل نسخة ففى كل واحدة ما يصحح الاخرى . ولما كانت نسخة المشرق مطبوعة فلا محل لتكرار ما ورد فيها . ولا نرى التعليق بما مرّ بيانه ، فاقتصرت فى التعليق على بعض المطالب . ولا تزال بعض المواطن غامضة .

مرّ بنا ما يوضح عن حياة صاحب هذه الأرجوزة . نظمها البدر الاربلى سنة ٧٢٩ هـ . وكانت له المكانة المعروفة فى هذا الفن . جاء ذكره فى نصوص تاريخية عديدة . ولا شك أن شرح هذه الارجوزة لا يزال فى خزانة برلين ولعل الايام تسمح لبعض الافاضل بطبعها ، ومقابلة نصوصها ليكشف عن الموسيقى أكثر وقد بذلت الجهود فى التصحيح . ولا يطلب أكثر من المستطاع . ولا ريب أن أنظار القراء الافاضل ستجلو عن غوامضها أكثر ، فلا يبقى خفاء .

وكانت نسخة مجلة المشرق منقولة من مخطوطة مؤرخة سنة ٨٧٧ هـ — ١٣١٣ م . وهناك وصفها ولم يقف الناشر على أحوال ناظمها وهو أبو عبدالله بدرالدين (وورد شمس‌الدين) محمد بن على الخطيب الاربلى . قال صاحب المشرق : « كانت الموسيقى فى ذلك الوقت قد أصبحت عجمية الاصول ، وهى التى يجرى عليها أرباب الغناء فى زماننا مع بعض اختلافات عرضية ... » اهـ .

وهذا قول من لم يتعقب تاريخ الموسيقى•أوضحنا تاريخها فى هذا العهد بما يغنى عن الاعادة • ولا تزال لم تدخلها العجمة • أثرت على الاقطار الايرانية والتركية حافظت على وضعها من أيام صفى الدين الارموى والبدر الاربلى • ونقلت هذه الموسيقى الى تلك اللغات • فهى مصادرها • وفيهـــا تعديل ما فى الادوار للصفى الارموى •

وجل أملنا أن يجد الراغب فى الوقوف على تاريخها بلغته • وهـــذه الارجوزة صفحة بل متن متين فى هذه الصنعة • والله ولى الأمر •

عباس العزاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

الحمد لله على أنعامه ... حمداً يكافى الفضل فى أقسامه

ثم الصلاة والسلام التالى ... على النبى أحمد والآل

والصحب والتابع بالاحسان ... الى انقضاء عمر الزمان

وبعد يا أخى هداك الله ... الى طريقِ رشدٍ يرضاه

فهاك ما يجمعها مختصرا ... من رجز على المهم اقتصرا

فانّ جلّ الوقت مصروف الى ... ما ألهم الله تعالى وعلا

مما يراه ذو النهى والعقل ... فرضاً بعينه[1] وقوف النقل

ما لا يليق باللبيب يعرض ... عنه الى شىء سواه يعرض

لكن حق القصد والإخاءِ ... على فروضٍ أول السخاءِ

أوجب أن أبغى بهذا النظم ... ما رمته من ضبط هذا العلم

إجابة لما التمست فاتبع ... هداه فهو غنية للمستمع

---

(١) بعينه · وردت غير منقوطة الحرف الاول ·

معرفة أصول الأنغام

واعلم بأنّ الرست أصل الكلّ ... عنه تفرعت بحكم العقل
وانه أول ما تفرّعا ... عنه ثلاثة فصارت أربعا

الرست والعراق ثان تابع
وزر وكند(١) وأصبهان رابع

المناسبة بين الأصول والأركان والاخلاط

نزولهنّ من على الأركان ... وعدة الأخلاط فى الانسان
فشبّهوا الاول فى الآثار ... بالمرة الصفرا وركن النار
وثانياً بالدم والهواء ... وثالثاً بلغم والماء
والختم بالسودا وركن الارض ... عن ذى الطباع فعلها بالفرض
فأثر الرست اذا فى النفس ... كطبعه حرارة مع يبس
ومن هنا أثر بعضها فقط ... فانقبض البعض به أو انبسط

ذكر ابحر الأنغام الاصولية الأربعة

ثم لهنّ أبحر فالأول ... ذو خمسة معروفة تستعمل
وهى من اليكا(٢) الى أن تنختم ... بالبنجكا (٣) والاصبهان قد علم
كَردَانِيا نهفت ثم الباقى ... كلّ له بحران باتفاق
ولم يسميا وبعض حققا ... للاصبهان آخرين مطلقا

---

(١) زركند ، وزرفكند ، وزروكند واحد . اللفظ معرب وينطق به فى الوجوه المذكورة .

(٢) يكا ، ويگاه ، يقال له (راست) ويخفف (رست) وهو الصواب لحذف الالف لالتقاء الساكنين .

(٣) پنجگا ، وپنجگاه . ويقال له (نوى) .

ذكر الأبحر الثمانية المفرعة
عن الأصول الاربعة

ثم لكلّ نغمة فرعان تفرّعت عن أربع ثمان
عن أولٍ زُنكلة عشاق للبوسليك والمأى العراق
ثم لثالث بزركٌ راهوى عن رابعٍ نوى حسينى قدروى[1]
فصارت الانغام إثنى عشرا[2] واضطربوا فى الوضع والذى أرى

ذكر كيفية ترتيب الأنغام الاثنى عشر

أن يوضع الأصل وفرعاه معه أو الأصول تمت[3] المفرّعه
مثنى كذا أو الأصول الاربعة وزنكلا وبوسليك تبعه
بزرك مع نوى وعشاق مأى والراهوى أو الحسينى قد نأى
بثل ذا تحفظ فيها النسَبُ فى حكم طبعها واذ تُرتبُ
على البروج ونجومها فضع رابعهنّ ثانياً ثم اتبع
ثم بيده كلّ فرعين على ترتيبها الآن وبالباقى ولا
حتى يكون قوسها والمشترى لنغمة العشاق عند انظر

ذكر الأوزات الستة

وفرعوا من كلّ شدين نغم سموه آوازاً فبعض قد رسم
للرست والعراق نيروز ولم ينقل له خلف بذا المأى حكم
والآخران لهما الشهناز للبوسليك والنوى الحجاز
وخذ لفرعى زروكند سلمكا للزركشى مأى وزنكلا اتركا

---

(١) حسينى هو ششگاه ٠

(٢) وهذه هى الأدوار وتسمى شدودا ٠ ولكل دور أصل ٠ جاء ذلك فى كتاب الادوار ص ٢٠ ومن الشدود تولد الأواز ٠

(٣) لعلها (ثمت) ٠

وللحسينى وعشاق نقل	كوشت والبعض خالف نقل
عنه لزروكند أصبهان	كوشت والشهناز فى البيان
لماءة وبوسليك جعلا	حجاز للعشاق معه زنكلا
وسلمك على الحسينى والنوى	والذوق يدرى من على الحق التوى

ذكر الشواذ (الشاذات) الثلاثة المفرعة عن الأوزات الستة

وفرعوا عن هذه الاوازات	ما سمى الشاذ ثلاث شاذات
عن كل أوازين فرع ثالث	منهن عزال وذاك حادث
عن نغمتى شهناز والنيروز	لسلمك والزركشى العزيز

فرع زوالى وأما العكبرى
فعن حجاز وكوشت فانظر

ترتيب الأنغام الاثنى عشر كما ذكر

الاستاذ صفى الدين عبدالمؤمن

وبعض من دقائق الفن حوى	رتبها العشاق بعده النوى
والبوسليك الرست والعراق	والاصبهان وله اللحاق
بزروكند وبزرك زنكلا	وراهوى والحسينى تلا
واجعل اختتامها الحجازى	ونقل المأى الى الاواز

وبدل الكردانيا(١) بالزركشى
ولم يبن كيف عن الاصل انتشى(٢)

---

(١) الكردانى هو الهشتگاه .

(٢) فى كتاب الادوار من مخطوطتى ص ٢٠ تفصيل .

ذكر الأنغام الزوائد

وما أتى مما عدا(١) المذكور   نخارج عن عدها المشهور
كمستعار رمل والنهرى   كذا الخوارزمى والمحير
وان للعقل مجال التكثير   وان يركبها بكل تقدير
وكلما انتهى به الى عدد   زاد عليه غيره ولا يحد
لكنها لم تسم لا ولا نقل   وما على عدة أنغام عمل
يعزى الى الاعرف منها الاكبر   وان سميت بعضها لم ينكر
فانه لا حجر فى التركيب   والفخر فى ذى صنعة وطيب

وربما يكون فرع سمعا
من نغم الأصل ألذ طبعا

وصية الأستاذ المصنف

فلتك ذا عناية فى العمل   بلذة السامع فى المعجل
وحسن الامتزاج فى الشدود   واحذر من التنفير والتبعيد
وان رأيت طرباً فاعمد الى   زيادة الوجد عليه وانقلا
الى أواز ما استلذ ثمّا   الى سواده وكلا ممّا
يلذ أولا الى الحصار   وغير ذا موجب الانحصار
وربما مات به ذو وجد   ان كان الانتقال نحو الضد

بيان تأثير الأنغام فى الأمزجة من الاخلاق

فان عشاقاً وبوسليكا   ثم نوى تفيدنا تسليكا
الى شجاعة وبسط قوه   وتبعث الشخص على الفتوه

---

(١) لعل الصواب (مما سوى) . لان عدا قد سبقت بـ (ما) . وحينئذ يجب النصب .

يليق بالترك وبالزنوج | وساكنى الجبال والعلوج
ثم لنيروز وأصبهان | والرست والعراق فى الانسان
بشر ولذة وبسط وابذن(١) | ما قد بقى منها بقبض وحزن

وكان فى النقل الى الحسينى
من العراق نفرة الضدين

بيان الضروب السبعة ووجوب مراعاتها

ثم أتقن الضرب وحققه وهل | يصح دون ضبطك الضرب عمل
وجملة الادوار سبعة وقد | خص ثقيله ثلاثة تعد
بأول الثقيل ثم ثانيه | ثم خفيفه فخذ معانيه
والرمل اثنان فمطاق وما | قيد بالخفيف منه فاعلما

وهزج والفاختى السابع
وقل ما يبنى عليه الصانع

وصية للمطرب

وينبغى تلطف القوال | بعلمه أمزجة الرجال
وحالة القول وان يستجمعا | لكل موضع لطيف قطعا
من أشرف الاشعار ذا صنائع | فاعلة فى ألطف الطبائع
يورد كلا فى المكان اللائق | فى نغم مناسب موافق
منتخباً محاسن النظام | يورده فى أنسب الأنغام
يختار للنسيب والأشواق | واللطف مثل نغمة العراق

---

(١) فى الاصل (وبزن) .

وللشـجاعة وبسـط النفس كنغمة العشـاق دون لبس
للوجـد والرقة والحزن أرى كزروكنـد والحسينى ومأى
فان هـذا باللبيب أنسـب وهو لدى كل الطبـاع أعجب
وتكمـل اللـذة فيـه واذا خالفـه فقـد يؤثر الأذى
أو ينقص اللـذة ثم يقتصـد لكل طبـع وفقـه ويعتمـد
فعل المداوين فلليبوسـه بضدّها رطوبة محسوسـه
كعكسـه وبارداً بسـخن كضدّه فعل الصحيح الذهن
وربمـا وافق فى العـلاج موافق السـامع فى المـزاج
فلا يملّهـم بتطويل ولا يقطع دون قصدهم وأولا
يرقب حال الكبراء ثم من حرّكه الوجد مع السمت الحسن
والأصل طيب الصوت والديانه فيـه وصـدق القول والصيانه

فان أتت مع جودة الأعمـال
فقـد أتى بغـاية الكمـال

خاتمـة الرسـالة

صاحبهـا محمـد نجـل على ناظمهـا ابن الخطيب الاربلى
يقول هـذى غنيـة لمن عقـل وقـد نظمتهـا بيوم أو أقـل
وذاك فى مرتداد(١) الهجريه تسـع وعشرون وسـبع ميه
وعـدة المجموع فى نظـامى بيت ومائة مـع الختـام

(١) ورد كذا وفى نسخة المشرق (فى مرتد الهجرة) . ولعل الصواب (فى مرداد) وهو اسم شهر من شهور الفرس على رأى بعض الافاضل .

١١٣

وكملت (أرجوزة الأنعام) والحمد لله على الانعام
ثم على خير الورى سلامى ما سرحت سائمة الانعام

تمت

بحمد الله وعونه فى الثانى والعشرين
من ذى القعدة سنة الف ومائة وعشرين
هجرية

١ - فهرس المواضيع

٢ - فهرس الكتب

٣ - فهرس الأمكنة والبقاع

٤ - فهرس الأشخاص

٥ - فهرس الشعوب والقبائل والبيوت والنحل

٦ - فهرس المصطلحات

٧ – فهرس الألفاظ

١ - الكتب المطبوعة

للمحامي عباس العزاوي

	سعر الجلد الواحد فلس
تاريخ العراق بين احتلالين ٤ مجلدات	٥٠٠
عشـــائر العراق ـ مجلدان	٥٠٠
منتخب المختـــار ذيل الخطيب البغـــدادي	٢٥٠
رحلة المنشي البغـــدادي ـ نقلت من الفارسـية	٢٠٠
مجموعة عبدالغفار الاخرس في شعر عبدالغني جميل	٢٥٠
الكاكائيـــة في التاريخ	٢٥٠
النبراس في خلفاء بني العباس لابن دحيـة	(نفد)
تاريخ اليزيدية واصل معتقـدهم	(نفد)

٢ - الكتب المعدة للطبع

تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الخامس في العهد العثماني ٠

تاريخ اليزيدية وأصل معتقدهم (بتصحيحات ومطالب جديدة) ٠

تاريخ أربل (اللواء والمدينة) ٠

تاريخ شهـرزور ـ السليمانية (اللواء والمدينة) ٠

تاريخ الادب العربي في العراق في عهد المغول والتركمان والعثمانيين ٠

تاريخ الادب التركي في العراق ٠

تاريخ الادب الفارسي في العراق ٠

النقود العراقيـــة في العهود التالية للعباسيين ٠

عشـــائر العراق المجلد الثالث ٠

تاريخ العمراني في الدولة العباســـية ٠

كتاب النخل ٠

تاريخ الموسيقى العراقية في العهد العثماني ٠

